

منهج العلماء في تنزيل

الهدايات على الواقع

ورقة علمية مقدمة للمشاركة في المؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس ٨) بعنوان:
إسعاد الإنسان بهدى القرآن.

مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا بالشراكة مع كرسي الملك عبدالله بن
عبدالعزیز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى.

إعداد/

أ.د. محمد بن عبدالعزیز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَعِزُّهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

{يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٤﴾} [سورة آل عمران: ١٠٢]

{يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ أَتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾} [سورة النساء: ١]

{يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ

فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾} [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

فإن أولى ما تنافس فيه المتنافسون، واشتغل به المشتغلون، كلام رب العالمين، الحق المبين، والصراف المستقيم، تنزيل من عزيز حكيم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق^(١)، ومن أجل ذلك فلا عجب من تنافس العلماء والباحثين في استخراج مكونات هذا الكتاب الكريم، والاهتمام البالغ في الغوص فيه لاستخراج درره، والتنقيب للحصول على نفائسه.

واستكمالاً لما اجتهد فيه علماء الأمة في تنزيل القرآن على الواقع الذي كانوا يعيشونه؛ كان لزاماً على أهل هذا العصر استكمال الأمر، لأمر لا تخفى على أهل العلم، وأبرزها:

- ١ - حاجة الناس لهدايات القرآن في حياتهم اليومية امتثالاً لطاعة الله عز وجل واقتداءً برسول الله ﷺ.
- ٢ - كثرة مستجدات العصر وسرعة تناقل المعلومات والعادات والصناعات مما يستدعي متابعة أهل العلم لها والحكم عليها بشريعة الله وهدى الإسلام.
- ٣ - لقوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾} [سورة الإسراء: ٩]. فشمول هداية القرآن من حاجات المكلفين ظاهرٌ لمن تأمله وتدبر فيه.
- ٤ - كثرة من أصبح يحكم بالقرآن في المسائل سواءً بوجه صحيح أو غير صحيح، وكثر المجترؤون في القول على الله بلا علم.

(١) هذا جزء من ثناء الوليد بن المغيرة على القرآن: عن عكرمة قال: «جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ، فقال له اقرأ علي، فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، قال: أعد، فأعاد النبي ﷺ، فقال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر». انظر: دلائل النبوة، الحُسْرُو جردى الخراساني، (١٩٩/٢).

واستلزم ذلك تأصيل منهج تنزيل الهدايات القرآنية على المستجدات والأحداث المعاصرة، ومن طرق تأصيله النظر في مناهج العلماء الراسخين في تنزيل الهدايات القرآنية على المسائل في مختلف العصور، فاستقراء منهجهم وتبعه يجمع الضوابط والمجالات التي يمكن فيها تنزيل الهدايات القرآنية على الواقع دون الوقوع في الخطأ والحيف عن الجادة.

كما أن البحث في مناهج العلماء السابقين تقوية العزائم وبعث الهمم على التخصص في هذا المسار، وتشجيع العلماء في نشر العلم وتحديث مهارات التعامل مع المستجدات لطلاب العلم وضبطها بالضوابط المستقيمة بإذن الله، وفيه فتح مجالات تنزيل الهدايات بما يتناسب مع العصر وحاجات الأمة بما يحقق العبودية لله والاتباع لرسوله ﷺ والتجرد من الهوى والخطأ في القول على الله بلا علم. وكان لكرسي القرآن السبب في هذا المجال بالتأليف ولاستكتاب والنشر والمشاركة ومنها هذا المؤتمر.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة مباحث، وخاتمة.
المقدمة ، وتشمل التقديم وأهداف البحث وخطته ومنهجه.
التمهيد ، ويشمل التعريف والنشأة والضوابط والأنواع والمجالات.
المبحث الأول: تنزيل هدايات الآيات في مسائل العقيدة.
المبحث الثاني: تنزيل هدايات الآيات في مسائل العبادات.
المبحث الثالث: تنزيل هدايات الآيات في مسائل المعاملات.
المبحث الرابع: تنزيل هدايات الآيات في مسائل الآداب.
المبحث الخامس: تنزيل هدايات القصص على الواقع.
الخاتمة.

ثبت المصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الآتي:

١. تتبع تنزيلات الهدايات القرآنية عند العلماء من القرن الخامس حتى وقتنا المعاصر.
٢. اقتصر على جرد ذلك من مؤلفاتهم وفتاويهم، من خلال الجرد في المكتبة الشاملة والموسوعات الحاسوبية الأخرى.
٣. اقتصر على بعض العلماء المشاهير، ونوعت في العصور قدر الإمكان، لتتكامل الصورة وتوضح، وتميز الفروق بين مكمّن العصور بحسب الوقائع والأحداث.

٤. حرصت على ذكر بعض ما استخرجته من النصوص بناءً على ظهور علاقتها بالهدايات القرآنية، وتوجيه العالم لعلاقتها بالمسألة.
 ٥. رتبت البحث ترتيباً موضوعياً، لتتكامل صورة العلاقة بين الهدايات القرآنية واختلاف العصور، فما نزلته المتقدم جرى عليه المتأخر لا العكس.
 ٦. جعلت لكل مسألة عنواناً جانبياً، سواء كان النقل منفرداً أو متعدداً.
 ٧. جعلت تمهيداً للبحث يوضح بعض المسائل الضرورية لفهم أقوال العلماء بالهدايات.
 ٨. أوجزت الكلام على تحليل تلك النقول في الخاتمة.
- وفي كتابة البحث التزمت المنهج العلمي وفيه:

١. وثقت النصوص من مصادرها.
٢. عزوت الآيات للسورة ورقم الآية داخل النص تخفيفاً للهوامش.
٣. رسمت الآيات برسم مصحف مجمع الملك فهد.
٤. خرجت الأحاديث وعزوت الأثار.
٥. عزوت الأقوال والنصوص المنقولة بالجملة للكتاب المنقول منه.

صعوبات البحث:

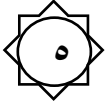
١. صعوبة جرد سير العلماء ومؤلفاتهم وفتاويهم للحصول على كل المسائل التي نزلوا فيها هدايات القرآن على المسائل.
٢. ضيق الوقت المتاح للكتابة، وضيق الوقت المتاح - كعادة المؤتمرات - في العرض.
٣. لم أستطع تحليل مناهجهم ودراساتها بالشكل العلمي المناسب، ولذا اكتفيت بعرض بعض النماذج المتنوعة والتي حاولت من خلالها إبراز الصورة العامة لمناهجهم لعلها تكون نواةً لدراسات تأصيلية واستقرائية وتحليلية أوسع بإذن الله تعالى.

العلماء الذين شمل كتبهم البحث^(١):

١. ابن حزم (٤٥٦ هـ)^(٢). (القرن الخامس).

(١) ليست الأسماء المذكورة مقصودةً في هذا البحث ولا عددهم وأزمانهم، ولا المسميات كذلك، إنما هي للتمثيل فقط، ولذا لعلها تنال نصيبها فيما بعد في البحث والترتيب؛ لتكون أكثر متانةً، وأقوى تأثيراً بإذن الله تعالى.

(٢) هو: أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، القرطبي، الفقيه، الحافظ الأديب، رُزق ذكاء مفرداً، وذهناً سيّالاً، كان ينهض بعلوم جمّة، ويجيد النقل، ويجسّن النظم والنثر، وفيه دين وخير. له مؤلفات كثيرة منها: المحلى في الفقه، والفصل في الملل والأهواء والنحل. توفي سنة ٤٥٦ هـ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٣ / ٣٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨.



٢. ابن العربي (٥٤٣ هـ)^(١). (القرن السادس).
٣. الفخر الرازي (٦٠٦ هـ)^(٢). (القرن السابع).
٤. القرطبي (٦٧١ هـ)^(٣). (القرن السابع).
٥. ابن تيمية (٧٢٨ هـ)^(٤). (القرن الثامن).
٦. أبو حيان (٧٤٥ هـ)^(٥). (القرن الثامن).
٧. ابن القيم (٧٥١ هـ)^(٦). (القرن الثامن).
٨. محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٤ هـ)^(٧). (القرن الثالث عشر).

(١) هو: محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الله ابن العربي، الأندلسي الإشبيلي المالكي، من مؤلفاته: أحكام القرآن، وعارضة الأحوذى شرح جامع الترمذي. توفي سنة ٥٤٣ هـ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/٣٧٠/٦٢٦، وطبقات المفسرين للداوودي ٥١١/١٦٧/٢.

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي. الطبرستاني الأصل الرّازي المولد ابن خطيب الرّبي الشّافعي الأشعريّ، أخذ العلم عن والده، وعن الكمال السمناني، والمجد الجيلي، وغيرهم، جمع كثيرا من العلوم ونبغ فيها، فكان إمامًا في التفسير والكلام، والعلوم العقلية، وكان له في الوعظ اليد البيضاء، ويعظ باللسانين العربي والعجمي، ومن كتبه: «التفسير الكبير»، وكتاب «المحصول»، وتوفي رحمه الله عام (٦٠٦ هـ). ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٢٤٨/٤)، والوفاي بالوفيات، للصفدي (١٧٥/٤)، وطبقات المفسرين، للداوودي (٢١٥/٢).

(٣) هو: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر فرح، الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، المفسر، كان زاهداً عابداً، من مؤلفاته: الجامع في أحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى والآخرة، توفي سنة ٦٧١ هـ. انظر ترجمته في: طبقات المفسرين ٤٣٤/٦٥/٢ والأعلام ٣٢٢/٥.

(٤) هو: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، شيخ الإسلام، الإمام المشهور، مات مسجوناً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ. له تراجم مستقلة كالقول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي، محمد صفي الدين البخاري الحنفي، تحقيق: د. سالم بن عبد الله الدخيل، دار الوطن الرياض، ط الأولى ١٤٢٠ هـ. والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للحافظ عمر البزار، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت. والعقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لتلميذه ابن عبد الهادي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي بيروت.

(٥) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الإمام أنير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره، ولغوي، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه، وأخذ العلم عن كثير من العلماء منهم: أبو جعفر بن الطباع، والدمياطي، والعزّ الحرّانيّ، وغيرهم، واشتهر اسمه، وطار صيته، وأخذ عنه أكابر عصره، وتقدموا في حياته كالشيخ تقي الدين السبكي، والجمال الإسني، وابن عقيل، واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه، ومنها: البحر المحيط، وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، وتوفي رحمه الله بالقاهرة عام (٧٤٥ هـ). ينظر: بغية الوعاة، السيوطي (٢٨٠/١)، طبقات المفسرين، للداوودي (٢٨٧/٢)، والأعلام، للزركلي (١٥٢/٧).

(٦) هو: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، شمس الدين، أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، العلامة المشهور، وأخص تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، ولد سنة ٦٩١ هـ، وسجن مع شيخه بقلعة دمشق، مات سنة ٧٥١ هـ. رحمه الله انظر ترجمته في: الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد، نشر دار المعرفة _ بيروت. ٥٢٣/٤٤٧/٤، والبداية والنهاية لابن كثير ١٨/٥٢٣.

(٧) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ولد في العيينة وسط نجد سنة ١١١٥ هـ لأسرة ينسب إليها عدد من علماء الدين، تعلم القرآن الكريم وحفظه عن ظهر قلب وعمره عشر سنين، سافر الى عدد من البلدان لطلب العلم، توفي في

٩. الألوسي (١٢٧٠ هـ)^(١). (القرن الثالث عشر).
 ١٠. القاسمي (١٣٣٢ هـ)^(٢). (القرن الرابع عشر).
 ١١. الدوسري (١٣٩٩ هـ)^(٣). (القرن الرابع عشر).
 ١٢. ابن باز (١٤٢٠ هـ)^(٤). (القرن الخامس عشر).
 ١٣. ابن عثيمين (١٤٢١ هـ)^(٥). (القرن الخامس عشر).

رحمهم الله جميعاً وألحقنا بهم في عبادته الصالحين.

- العينية بسبب مرض ألم به في أول شوال ثم كان وفاته في يوم الاثنين من آخر الشهر في عام ١٢٠٦ هـ. ينظر الأعلام للزركلي (٦/٢٥٧)، روضة ابن غنام (١/٢٥) وعنوان المجد لابن بشر (١/٦).
- (١) محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجتهدين، من أهل بغداد، مولده فيها سنة ١٢١٧ هـ ووفاته فيها سنة ١٢٧٠ هـ. كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر سنة ١٢٦٢ هـ إلى الموصل، فالأستانة، ومر بمباردين وسيواس، فغاب ٢١ شهراً وأكرمه السلطان عبدالمجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفي ينظر: لية البشر - خ. وإبراهيم حلمي العمر، في مجلة لغة العرب ٣: ٦٩ وأعلام العراق ٢١ وجلاء العينين ٢٧ و ٢٨ والمسك الأذفر ٥، وأعيان البيان ٩٩، الأعلام للزركلي (٧/١٧٦).
- (٢) جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علماً بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. ولد سنة ١٢٨٣ هـ وتوفي سنة ١٣٣٢ هـ في دمشق، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. انتدبه الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨ - ١٣١٢ هـ ثم رحل إلى مصر، وزار المدينة. ينظر: حلية البشر ١: ٤٣٥ - ٤٣٨ وقاموس الصناعات الشامية ١٩١ وانظر معجم الشيوخ ١: ١٧٧-١٨٦، الأعلام للزركلي (٢/١٣٥).
- (٣) عبدالرحمن بن محمد بن خلف بن عبدالله بن فهد آل نادر الدوسري الشهير باسم عبدالرحمن الدوسري هو فقيه ومفسر ومحدث وشاعر، ولد سنة ١٣٣٢ هـ، حفظ القرآن في المدرسة المباركية وتعلم العلم الشرعي، وتعلم على عدد كبير من العلماء، ثم انتقل إلى الرياض وعمل في المجال الدعوي، توفي عبد الرحمن الدوسري في صباح يوم الأحد ١٦ ذو القعدة سنة ١٣٩٩ هـ ينظر: كتاب حياة الداعية الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري ص ١٥١.
- (٤) هو: عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله آل باز، ولد بمدينة الرياض سنة ١٣٣٠ هـ كان بصيراً في أول أمره ثم ضعف بصره عام ١٣٤٦ هـ، حفظ القرآن صغيراً، من أبرز مشايخه: محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، وصالح بن عبدالعزيز آل شيخ، وسعد بن حمد بن عتيق، ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ، تولى القضاء من سنة ١٣٤٧-١٣٧١، ثم تولى بعد ذلك عدداً من الوظائف آخرها: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، كما تولى رئاسة عدداً من الهيئات والمجالس، من مؤلفاته: العقيدة الصحيحة وما يضادها، وإقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين، وغيرها من المؤلفات، توفي عام ١٤٢٠ هـ. انظر ترجمته في: كتاب: إمام العصر سماحة الشيخ الإمام العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، د. ناصر بن مسفر الزهراني، مؤسسة الحرمين الرياض، ط الأولى ١٤٢٠ هـ).
- (٥) هو: محمد بن صالح بن محمد بن عثمان الوهبي التميمي أبو عبد الله ولد في مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم، سنة ١٣٤٧ هـ، في أسرة معروفة بالدين والاستقامة، وتلقى العلم على علماء بلده، وكان الشيخ قد رزق ذكاء وركاء، وهمة عالية، من أبرز مشايخه الشيخ عبد الرحمن السعدي وسماحة العلامة الشيخ عبد العزيز ابن باز ومحمد الأمين الشنقيطي، بلغت مؤلفاته ٥٦ منها: فتح رب البرية بتلخيص الحموية وعقيدة أهل السنة والجماعة، توفي عام ١٤٢١ هـ. انظر ترجمته في: كتاب ابن عثيمين الإمام الزاهد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، دار ابن الجوزي الدمام، ط الأولى ١٤٢٢ هـ).

التمهيد:

التعريف بالمصطلحات:

تعريف تنزيل الآيات على الواقع

تنزيل الآيات على الواقع مركب يتكون من ثلاث كلمات: (تنزيل)، و (الهدايات)، و (الواقع). وسوف أعرف كل لفظة على حدة وأوضح معناها لغة واصطلاحاً ثم أعقب على ذلك بتعريفهم معاً، فأقول مستعيناً بالله.

مفرداً:

تنزيل: مصدر من الرباعي للفعل نزل، النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه. ونزل عن دابته نزولاً. ونزل المطر من السماء نزولاً^(١).

قال ابن فارس "والتنزيل: ترتيب الشيء ووضعه منزله"^(٢).

الهدايات: من ال(هدى) الهاء والذال والحرف المعتل: أصلان؛ أحدهما: التقدم للإرشاد، والآخر: بعثة لطف. هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشده. وكل متقدم لذلك هاد^(٣). وهذا هو المعنى المراد في هذا البحث وهو التقدم للإرشاد.

الواقع: اسم فاعل للفعل وقع وهو ما يدل على سقوط شيء فنقول: وقع الشيء وقوعاً فهو واقع^(٤). والمقصود بالواقع في هذا المقام: هو عبارة عن السنن الإلهية، والأفعال الإنسانية الحاصلة في الزمن المعاصر، وهذا الواقع هو الذي يراد تنزيل الآيات عليه وتوجيهه لحسبها^(٥).

مركباً:

الدلالات المينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع من كل شر^(٦).

فوائد تنزيل الهدايات على الواقع.

إن لتنزيل الهدايات على الواقع عند المفسرين من القضايا المهمة ويظهر ذلك من خلال أنه:

- (١) ينظر: مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) الناشر: دار الفكر (٥/٤١٧)، لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، ابن منظور دار النشر: دار المعارف (٦/٤٣٩٩).
- (٢) مقاييس اللغة (٥/٤١٧).
- (٣) مقاييس اللغة (٦/٤٢).
- (٤) مقاييس اللغة (٦/١٣٤)، لسان العرب ط دار المعارف (٦/٤٨٩٥).
- (٥) ينظر خلافة الإنسان بين الوحي والعقل د: عبدالمجيد النجار ص(١١٢)، رسالة ماجستير (تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ الدوسري).
- (٦) الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (١/٤٤).

- ١ . يوثق الأحداث التاريخية في عصر المفسّر.
- ٢ . يعرف بموقف المفسّر في الأحداث المعاصرة له.
- ٣ . يقرب المعنى للآية ويوضّحه.
- ٤ . يربط المسلم المعاصر بكتاب الله عزّ وجلّ.
- ٥ . يعرف بسيرة المفسّر^(١).
- ٦ . يعالج ما يقع فيه الناس من الأمور المخالفة.

حاجة الناس إلى تنزيل الهدايات على الواقع.

تبرز حاجة الناس إلى تنزيل الهدايات على الواقع من خلال^(٢):

- أولاً: الردّ على بعض التعبيرات الشائعة وبيان خطئها.
- ثانياً: الردّ على الدعوات المنحرفة.
- ثالثاً: الردّ على بعض النظريات الشائعة.
- رابعاً: تشابه أهل الضلال من أيام الرُّسُل إلى عصرنا في وصف مخالفيهم.
- خامساً: بيان الخطأ الشائع اليوم.
- سادساً: التحذير من الغزو الفكري والأخلاقي.
- سابعاً: بيان بعض أسباب تخلف المسلمين وعدم انتصارهم على أعدائهم.

حكم تنزيل الهدايات على الواقع.

لقد أنزل الله تعالى القرآن على رسوله الكريم ليعلمه لأصحابه وللمسلمين، وليكون منهاجاً لحياتهم يتدارسون فيه، ويطبّقون أوامره ويتجنبون نواهيه ويتدبرونه ويعملون به، فالعمل بالقرآن هو سرّ السعادة في الدارين الدنيا والآخرة، والعمل بالقرآن هو ديدن السلف الصالح وشعارهم في هذه الدنيا؛ فسعدوا بذلك وجعل الله لهم التمكين والثبات في الحياة الدنيا، وسيجزّيهم يوم القيامة خير ما يجازي به أوليائه . وعلى هذا فإن قضية تنزيل الهدايات على الواقع هي من قبيل القول بالرأي الذي طريقة القياس والتمثيل، فمنها المحمود، ومنها المذموم.

(١) ينظر: تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق (٧٩ - ٨٨)

(٢) ينظر: تنزيل الآيات على الواقع المعاصر عند الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، د. أحمد البريدي ، مقال منشور في موقع مدار،

ضوابط تنزيل الهدايات على الواقع.

- ١ . سلامة القصد، فلا يَحِلُّ حملُ الآية على مذهبٍ أو جماعةٍ تعصَّباً.
- ٢ . العلم وقوَّة التأصيل؛ لذلك ضلَّ الخوارِج حين نَزَّلوا نصوصَ التَّكفير على المسلمين.
- ٣ . العلمُ بأسباب التَّزول.
- ٤ . ما كان سياقُه في واقع الآخرة فلا يُنَزَّل على واقع الدُّنيا.
- ٥ . مراعاة الحال التي نزلت فيها الآية: كالمكِّي والمدينيِّ، وحاليِّ الضَّعف والقوَّة.
- ٦ . بصرُ المفسِّر بالواقع المعاصر.
- ٧ . أن يندرج التَّنزيل تحت أصل الآية: فلا يأتي بفهمٍ جديدٍ للآية مخالفٍ لفهم الصحابة والتَّابعين^(١).

(١) ينظر: تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق (٨٩ - ١٠٠).

أنواع تنزيل الهدايات على الواقع

النوع الأول: باعتبار التصريح وعدمه نوعان:

(أ) تنزيل التصريح، كقول المفسر: كما هو عليه أهل زماننا، الحاصل في زماننا، وهذا ما يكون في مجتمعنا، ونحو ذلك.

(ب) تنزيل التلميح، حيث يفهم من كلام المفسر أنه ينزلها على واقعها، كتفسير مجاهدٍ رحمه الله لكثير من الآيات، حيث يفهم منه أنه ينزلها على واقعها من ظلم الحجاج بن يوسف.

كقوله في آية: { لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } [سورة البقرة: ١٢٤]: ليس للظالمين عهد، وإذا عاهدته فانقضه. وقوله في آية: { وَأَنْتَ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } [سورة غافر: ٤٣]: هم السفاكون للدماء بغير حقها. وقد يلّمح المفسر أحيانا لغرض آخر، كما فعل الشيخ شلتوت رحمه الله في تفسير قوله تعالى: { إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ } [سورة التوبة: ٤٠] الآية، فقال: "أطلق أنّ أحدا لا يستطيع بعد هذا أن يزعم لغير أبي بكر رضي الله عنه مكانة أبي بكر...".

فهو لم يصرح بذكر الشيعة؛ لأنه كان ميّالاً إلى التقريب بين الشيعة والسنة.

النوع الثاني: باعتبار الجزئية والكلية، وهو ثلاثة أنواع:

(أ) تنزيل كلي: وهو مطابقة الآية للواقع تماما.

من ذلك ما ذكره القرطبي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } [سورة الإسراء: ٤٥]، وأنّ الله تعالى ستره عن أعين العدو عند قراءته أوائل سورة يس.

(ب) تنزيل جزئي: أن يطابق الواقع جزءا من الآية.

كما فعل الرازي رحمه الله في تفسير: { يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصَدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ } [سورة التوبة: ٣٤] فذكر من واقعه ما يطابق قوله تعالى: { وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ } دون بقية أجزاء الآية.

(ج) تنزيل عكسي: فيذكر المفسر واقعا والآية تأمر بضده أو تنهى عما يخالفه.

منه ما ذكره أبو حيان رحمه الله في تفسير قوله تعالى: { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً } [سورة الأعراف: ٥٥]، حيث ذكر ما يفعله المتصوفة من الجهر بالذكر، وترك الاكتساب، والعيش عالة على الناس متظاهرين بالصلاح^(١).

(١) تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين (٧١ - ٧٨)

مجالات تنزيل الهدايات على الواقع:

المجال الأول: تنزيل هدايات الآيات من خلال العمل بأن العبرة بعموم اللفظة:

عمل جميع المفسرون بمسألة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" وتعد هذه المسألة من المسائل التي استند إليها المفسرون في تنزيل هدايات القرآن الكريم على الواقع إذ كل حادثة نزل بشأنها النص القرآني فإنه غير مقصور عليها بل إن هذا النص يعم كل واقعة شابهت الحادثة التي من أجلها أنزلت الآية. وقد صرح النبي ﷺ بهذا في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه: (أن رجلا أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله: {أقم الصلاة طربي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات} فقال الرجل يا رسول الله ألي هذا قال لجميع أمتي كلهم^(١). وقد احتج الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم في الوقائع بعموم الآيات قال السيوطي رحمه الله "ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة شائعا ذائعا بينهم"^(٢).

قال ابن العربي في أحكام القرآن مقررا لهذه المسألة ومنزلا هدايات الآيات على الواقع فيقول: "قد آن أن نكشف لكم نكتة أصولية وقعت تفاريق في أقوال العلماء تلتفتها جملة من فك شديد؛ وذلك أنا نقول: مهما قلنا: إن اللفظ الوارد على سبب، هل يقصر عليه أم لا؟ فإننا لا نخرج السبب عنه، بل نقره فيه، ونعطف به عليه، ولا نمتنع أن يضاف غيره إليه إذا احتمله اللفظ، أو قام عليه الدليل؛ فقله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [سورة الأنعام: ١٢١] ظاهر في تناول الميتة بعموم لفظه، وكونها سببا لوروده، ويدخل فيه ما ذكر اسم الله عليه غير الله من الآلهة المبطللة وهي: مسألة ما ترك المسلم التسمية عليه عمدا من الذبائح؛ بعموم أنه لم يذكر اسم الله عليه، وبزيادة ذكر غير الله عليه الذي يقتضي تحريمه هذا اللفظ عموما ومعناه تنبيهها من طريق الأولى، ويقتضي تحريمه نصا قوله: {رَوْمًا أَهْلًا لغيرِ اللَّهِ بِهِ} [المائدة: ٣]، فقد توارد على تحريم ذلك النص والعموم والتنبيه من طريق الأولى بالتحريم لظاهر أدلة الشرع عليه أولا"^(٣). ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه أم لا؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين أن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ. والآية التي لها سبب معين إن كانت أمرا ونهيا فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلة وإن كانت

(١) صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، ح(٥٠٣)

(٢) الاتقان في علوم القرآن (١/٨٥).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٢/٢٧١)

خبراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلة أيضاً" (١) .
ويقول ابن القيم رحمه الله " والناصح لنفسه. العامل على نجاتها: يتدبر هذه الآيات حق تدبرها.
ويتأملها حق تأملها. وينزلها على الواقع: فيرى العجب. ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا. فالحديث لك.
واسمعي يا جارة. والله المستعان" (٢) .

ويقول الالوسي رحمه الله: "ولا يخفى على من نظر في معناه وحقق ما معناه أن ما نحن فيه داخل في الشق
الثاني على أن دعوى الاختصاص مما لم يجمع عليه الخواص" (٣) .

وهذا الامام القاسمي رحمه الله يورد كلام ابن القيم ويعلق عليه فيقول: " {يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا} [سورة الرحمن: ٣٥]، ولم
يقُل: يرسل عليكم، لإرادة الصنفين، أي: لا يختص به صنف عن صنف، بل يرسل ذلك على الصنفين معاً.
وهذا وإن كان مراداً بقوله: {إِنِ اسْتَطَعْتُمْ} [سورة الرحمن: ٣٣]، فخطاب الجماعة في ذلك بلفظ الجمع أحسن،
أي: من استطاع منكم. وحسنَ الخطاب بالثنائية في قوله: {عَلَيْكُمَا} أمر آخر، وهو موافقة رؤوس الآي،
فاتصلت الثنية بالثنائية. وفيه التسوية بين الصنفين في العذاب بالتنصيص عليهما، فلا يحتمل اللفظ إرادة
أحدهما - والله أعلم - انتهى كلام ابن القيم (٤) .

وأنت ترى أن لا قرينة تخصص الآية بالقيامة، وما استشهد به من الآيات لا يؤيده، لأنه ليس من نظائره.
فالوجه ما ذكرناه" (٥) .

وهذا الإمام الدوسري رحمه الله يبين أن القرآن صالح لكل زمان فيقول: "ألا وإن الإسلام صالح مصلح لكل
عصر كما قدمنا توضيحه" ثم يقول "وهذا إرشاد عظيم كريم من الله لعباده بحفظ أموالهم و ضبطها بالكتابة أو
الاستيثاق بالرهن، وهو من معجزات القرآن ومعجزات من أنزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم، حيث
ظهرت فائدة هذا الإرشاد في هذه الآية في أحدث عصر يزعم أهله التقدم والوعي العقلي والتفوق في الفنون
الاقتصادية، ومع ذلك لم توا بجديد، ولم يستطيعوا أن يشرعوا لكتابة العقود المالية أكثر مما جاء به القرآن في
هذه الآية بل سلك بعضهم تعقيداً باعتبار الكتابة في التجارة الحاضرة التي هي المغالطات بين المتبايعين، حتى
اضطره الواقع إلى إلغائها، فأخذ يتجحج بأنه اهتدى إلى فتح جديد في عالم الاقتصاد، ولم يعلم أن القرآن سبقه
إلى ذلك بأربعة عشر قرناً حيث قال {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ} [سورة البقرة: ٢٨٢]" (٦) .

ويقول في موطن آخر " وهذا الخطاب وإن كان موجهاً لبني إسرائيل فهو عام لجميع الأمم، وعلى الأخص أمة

(١) مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٣٩)

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٣٦٧)

(٣) تفسير الألوسي = روح المعاني (١ / ١٧٣)

(٤) طريق المهجرتين (ص ٦٢٥)

(٥) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) (٨ / ٥٦٧)

(٦) صفوة الآثار والمفاهيم ١٩١/٤

القرآن، فينبغي للمسلمين ألا يتشبهوا بأولئك من سائر الطبقات " (١) .
ويقول الامام ابن القيم رحمه الله عاملا بهذه القاعدة عند قول الله تعالى { اَلْهٰكُمُ التَّكَاثُرُ } فيقول: " وايضا فالواقع يشهد بعدم اختصاصه وأن الالهاء بالتكاثر واقع من المسلمين كثيرا بل أكثرهم قد الهاء التكاثر وخطاب القرآن عام لمن بلغه وان كان أول من دخل فيه المعاصرين لرسول الله فهو متناول لمن بعدهم وهذا معلوم بضرورة الدين وان نازع فيه من لا يعتد بقوله من المتأخرين فنحن اليوم ومن قبلنا ومن بعدنا داخلون تحت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ونظائره كما دخل تحته الصحابة بالضرورة المعلومة من الدين" (٢) .

المجال الثاني: تنزيل هدايات الآيات من خلال تغيير العبارات حسب الزمن:

إقامة الحدود بارض العدو

فقد يقصد بعض الناس بألفاظ البيع والهبة ما يقصد به آخرون معنى آخر أو عقد آخر، وهكذا في الطلاق والإجارة وغير ذلك، وهكذا بعض الأزمان قد يسوغ فيها ما لا يسوغ في أزمان أخرى، ومثل لذلك بأمثلة منها إقامة الحد في أرض العدو إذا وجد من بعض الغزاة ما يوجب الحد في أرض العدو، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إقامة الحد في أرض العدو. لماذا؟ لأنه قد يغضب ويستولي عليه الشيطان فيرتد عن دين الإسلام لذلك ولقربه من العدو.

ومن ذلك عام الجماعة فإذا كان عام جماعة واشتدت الحال بالناس لا ينبغي القطع في هذه الحالة للسارق إذا ادعى أن الذي حمله على ذلك الضيق والحاجة وعدم وجوده شيئا يقيم أوده ويسد حاجته، لأن هذا شبهة في جواز القطع، والحدود تدرأ بالشبهات.

ولهذا أمر عمر رضي الله عنه وأرضاه في عام الرمادة بعدم القطع، وحكم بذلك رضي الله عنه وأرضاه لهذه الشبهة. وهكذا تعتبر العواقب كما قال الله سبحانه: { فَأَعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ ۗ } [سورة الحشر: ٢] وقال تعالى: { فَأَصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعُقَبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۗ } [سورة هود: ٤٩] وقال سبحانه: { وَلَا تَسْجُوبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْجُوبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ } [سورة الأنعام: ١٠٨] فلا بد من رعاية العواقب، ولهذا ذكر ابن القيم رحمه الله أن الإنسان إذا كان أمره بالمعروف في بعض الأحيان قد يفضي إلى وجود ما هو أنكر من المنكر الذي يريد أن ينهي عنه، فإنه لا يجوز له أن ينه عن المنكر في هذه الحالة إذا كان إنكار المنكر يفضي إلى ما هو أنكر منه وأشد!! (٣) .

(١) المرجع السابق ١٢٢/٢

(٢) عدة الصابرين - العلمية (ص: ١٦٠).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٢ / ٢٤٢).

أشهر مجالات تنزيل الهدايات على الواقع عند العلماء:

- المبحث الأول: تنزيل الهدايات على الواقع في مسائل العقيدة.
- المبحث الثاني: تنزيل الهدايات على الواقع في مسائل العبادات.
- المبحث الثالث: تنزيل الهدايات على الواقع في مسائل المعاملات.
- المبحث الرابع: تنزيل هدايات الآيات في مسائل الآداب.
- المبحث الخامس: تنزيل هدايات القصص على الواقع.

المبحث الأول: تنزيل هدايات الآيات في جانب العقيدة:

القرآن الكريم أعظم كتاب وأجل مقروء اهتم بالعقيدة وحرص عليها سواء من حيث تأسيسها وتأصيلها أو من حيث المحافظة عليها ورعايتها وحميتها من الشبهات والانحرافات ولذلك كانت عقيدة المؤمن المهتدي بالقرآن اثبت من الجبال وأقوى من الرياح وهدايات القرآن الكريم في جانب العقيدة توضح بجلاء اهتمام القرآن بهذا الأمر وقد تنوعت الهدايات بتنوع جوانب العقيدة التي رعاها القرآن ومن تلك المجالات :

محبة الله تعالى :

من أعظم مقامات العقيدة وأرفعها مقام محبة الله تعالى فالمحبة الصحيحة ترفع العبد إلى الدرجات العالية في العبودية لله تعالى لأن " فاقد الحب الصحيح لا بد له من الحب الفاسد المفسد لقلبه المخرب لضميره المتلف لمهجته، الضار بأسرته و أمته، كما هو مشاهد محسوس، فإن المعرض عن عبادة الله يستعبده ما سواه من مطامع الدنيا وشهواتها، ويفني عمره في اتباع الأذواق والمواجيد المتلونة التي لا يستقر لها قرار، ولا يتحقق فيها أمن و لا راحة، فبحروج الناس من عبودية إله واحد فرد صمد، وقعوا تحت استرقاق آلهة كثيرة، وفرضت عليهم أهواؤهم الإلحادية تضحيات وخسائر لا يكلفهم بها الرحمن الرحيم، فعاشوا ويعيشون في جحيم من الاضطرابات والتخليط، بل في جحيم من الأنانية المستمرة التي تحملوا أهوالها من همزات الرؤساء الماديين وقلقلهم، مهما حصروا إيمانهم في رئيس أو جماعة أو أمة أو دولة أو مذهب أو سواه من الفلسفات المؤدية إلى الولاء الجماعي لطاغية يتحكم في الشعوب وباسم الشعوب"^(١).

رجاء رحمة الله وفضله :

لما يوجه المسلم نظره لحاله وحال أغلب من حوله يكاد يجبط ويقنط من رحمة الله لما يرى من تقصير في حق الله وغفلة عن دين الله تعالى لكن يبقى الرجاء بفضل الله ولطفه وتعلق القلب بسعة رحمة الله مفتوحا إلى آخر لحظة في عمر الإنسان وعمر الدنيا وهدايات القرآن الكريم تجمع بين حث الإنسان على العمل وفتح باب الرجاء وتوسيع منافذ الحصول على رحمة الله " فكذلك تعلقت أطماعنا بذلك وإن كنا مقصرين، ورجونا رحمة الرحمن وإن كنا غير مستأهلين، كلب أحب قوما فذكره الله معهم فكيف بنا وعندنا عقد الإيمان وكلمة الإسلام، وحب النبي صلى الله عليه وسلم،"^(٢)

اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره :

يعتبر اتباع النبي صلى الله عليه وسلم من أهم قضايا العقيدة وذلك لارتباط الاتباع بمحبة الله تعالى والانقياد لشرعه والإيمان برسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن هنا كان حرص الأئمة والعلماء على توجيه

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ٦٢/١، ٦٣،

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠ / ٣٧٢)

الناس إلى الإتيان للنبي صلى الله عليه وسلم وإن خالف ما ذهبوا إليه أن يقول النبي صلى الله عليهم وسلم مقدم على أوقالهم فلا حجة لهم أمام حجته ولا رأي لهم أمام رأيه وعلى هذا كانت كلماتهم ووصاياهم فهذا إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى يقول : " أني أذكر لمن خالفني: أن الواجب على الناس: اتباع ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم وأمته، وأقول لهم: الكتب عندكم، انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامي شيئاً. لكن إذا عرفتم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في كتبكم، فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس." (١)

قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ } [سورة آل عمران: ٨١] فإذا كان سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء، إن أدركوا محمداً صلى الله عليه وسلم، على الإيمان به ونصرته، فكيف بنا يا أمته؟ فلا بد من الإيمان به، ولا بد من نصرته، لا يكفي أحدهما عن الآخر. وأحق الناس بذلك وأولاهم به: أهل البيت الذي بعثه الله منهم، وشرفهم على أهل الأرض، وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته صلى الله عليه وسلم. والسلام. (٢)

ومثله أيضاً: " أن الله فرض علينا تعزيز رسوله و توقيره و تعزيره : نصره و منعه و توقيره : إجلاله و تعظيمه و ذلك يوجب صون عرضه بكل طريق بل ذلك أول درجات التعزير و التوقير فلا يجوز أن نصلح أهل الذمة أن يسمعونا شتم نبينا و يظهروا ذلك فإن تمكينهم من ذلك ترك للتعزير و التوقير و هم يعلمون أنا لا نصلحهم على ذلك بل الواجب علينا أن نكفهم عن ذلك و نجرهم عنه بكل طريق و على ذلك عاهدناهم فإذا فعلوه فقد نقضوا الشرط الذي بيننا و بينهم" (٣).

الاستدلال بالسنة

وقد يقع في وهم كثير من الجهال ان الشريعة لا احتجاج فيها وان المرسل بما صلوات الله وسلامه عليه لم يكن يحتج على خصومه ولا يجادلهم ويظن جهال المنطقيين وفروخ اليونان ان الشريعة خطاب للجُمهور ولا احتجاج بها فيوان الانبياء دعوا الجُمهور بطريق الخطابة والحجج للخواص وهم اهل البرهان يعنون نفوسهم ومن سلك طريقتهم وكل هذا من جهلهم بالشريعة والقرآن فإن القرآن مملوء من الحجج والادلة والبراهين في مسائل التوحيد واثبات الصانع والمعاد وإرسال الرسل وحدوث العالم فلا يذكر المتكلمون وغيرهم ذليلاً صحيحاً على ذلك الا وهو في القرآن بأفصح عبارة وواضح بيان وأتم معنى وابعده عن الايرادات والاسئلة وقد اعترف بهذا حذاق المتكلمين من المتقدمين والمتأخرين (٤) .

(١) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس) (ص: ٣٢)

(٢) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس) (ص: ٣١٢)

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ت الحلواني (ص: ٢١٧)

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١ / ١٤٥)

مخالفة الرسل

"وهم كما قال الله تعالى:

{قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾} [سورة المائدة: ٧٧] [المائدة: ٧٧].

فلو سألت أهل البيت الواحد عن دينهم ومعتقدهم في رهم ونبیهم لأجابك الرجل بجواب، وامرأته بجواب، وابنه بجواب، والخادم بجواب. فما ظنك بمن في عصرنا هذا، وهم نخالة الماضين، وزبالة الغابرين، ونفاية المتحيرين؟ وقد طال عليهم الأمد وبعد عهدهم بالمسيح ودينه.

وهؤلاء هم الذين أوجبوا لأعداء الرسل - من الفلاسفة والملاحدة - أن يتمسكوا بما هم عليه، فإنهم شرحوا لهم دينهم الذى جاء به المسيح على هذا الوجه، ولا ريب أن هذا دين لا يقبله عاقل. فتواصى أولئك بينهم أن يتمسكوا بما هم عليه، وساءت ظنونهم بالرسل والكتب. ورأوا أن ما هم عليه من الآراء أقرب إلى المعقول من هذا الدين. وقال لهم هؤلاء الحيارى النصرارى الضلال: إن هذا هو الحق الذى جاء به المسيح. فتركب من هذين الظنين الفاسدين إساءة الظن بالرسل، وإحسان الظن بما هم عليه" (١).

حقيقة الطاعة والامتثال لأمر الله تعالى :

١ - لما أمر الله تعالى بطاعته وبطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن حقيقة امتثال هذا الأمر تظهر في القيام العملي بما يقتضيه الأمر أما مجرد القول والدعوى دون تطبيق فلن تفيد شيء بل قد تكون سببا لمقت الله تبارك وتعالى كما قال الله : {يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [سورة الصف: ٢-٣]. والطاعة لا تحتاج إلى دعوى ولا حتى إلى قسم ويمين على القيام بها بقدر ما تحتاج إلى تحقيق وفعل فالذين " يقولون نسمع لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ويقسمون على ذلك فقال لهم تعالى لا تقسموا ولكن أطيعوا أن حققوا ما تقولون بإقراركم وفعلكم واتركوا حكم كل حاكم وقول كل قائل دون قول الله تعالى وقول رسول الله ﷺ، فمنطوق الآيات ومفهومها وتنوعها في الدلالة على هذه القضية (٢).

أثر العلم

بأن المراد بمن كان له قلب هو المستغنى بفطرته عن علم المنطق وهو المؤيد بقوة قدسية ينال بها الحد الاوسط بسرعة فهو لكمال فطرته مستغن عن مراعات اوضاع المنطق والمراد بمن القى السمع وهو شهيد من ليست له هذه القوة فهو محتاج الى تعلم المنطق ليجب له مراعاته وإصغاؤه اليه ان لا يزيغ في فكره وفسر قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة انها القياس البرهاني والموعظة الحسنة القياس الخطابي وجادلهم بالتي هي احسن القياس الجدلي فهذا ليس من تفاسير الصحابة ولا التابعين ولا أخذ من ائمة التفسير بل ولا من تفاسير المسلمين وهو تحريف لكلام الله تعالى وحمل له على اصطلاح المنطقية المبحوسة الحظ من العقل والايان وهذا من جنس تفاسير القرامطة والباطنية وغلاة الاسماعيلية لما يفسرونه من القرآن وينزلونه على مذاهبهم

(١) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان (٢/ ٢٨١)

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/ ١٠٣)

الْبَاطِلَةُ وَالْقُرْآنَ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مَنْزَعًا عَنْ هَذِهِ الْبَاطِلِ وَالْهَذَايَاتِ (١) .

العقيدة العصمة

وأنت تعلم أن قولهم الأنبياء معصومون ظاهر في كون العصمة من توابع النبوة ومعللة بها وهو مخالف لتلك الدعوى كما لا يخفى، وما ذكر من التقسيم حسن ويعلم منه أن الكثير ممن يدعي الولاية في زماننا أو تدعى له ليس له منها سوى الدعوى لإصراره والعياذ بالله تعالى على كبائر تقع منه في اليوم مرارا عافانا الله تعالى والمسلمين من ذلك (٢) .

الاستهزاء بالدين

يتحدث الامام القرطبي رحمه الله: عن زمنه فيقول "فكيف في زماننا هذا الذي يرى فيه الإنسان مكبا على الظلم! حريصا عليه لا يقلع، والسبحة في يده زاعما أنه يستغفر الله من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف. وفي التنزيل "ولا تتخذوا آيات الله
وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا {البقرة: ٢٣١} (٣) .

قطع أصول الشرك ومواده :

من أوضح طرق القرآن في محاربة الشرك قطع أصوله وأسبابه المؤدية إليه والآيات التي تدور حول هذه الطريقة كثيرة ومتنوعة فقد " قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعا، قطعاً يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله وليا، أو شفيعا، فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت فقال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ وَحَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } [سورة سبأ: ٢٢-٢٣]. فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا لمن فيه خصلة من هذه الأربع إما مالك لما يريد عبادته منه، فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك، فإن لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا، فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده.

فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مترتبا، منتقلا من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة، التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه.

فكفى بهذه الآية نورا، وبرهانا ونجاة، وتجريدا للتوحيد، وقطعا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحتها، وتضمنه له، ويظنون في نوع وفي

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٧٢)

(٢) تفسير الألوسي = روح المعاني (٦/ ١٤١)

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤/ ٢١١)

قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن. ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلهم، أو شر منهم، أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك، ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.^(١)

الشرك المعاصر

"أن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائما في الرخاء والشدة، والدليل قوله تعالى: {فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} [سورة العنكبوت: ٦٥]" (٢) .

شرك الطاعة

"وها نحن نرى أكثر الناس اليوم قد أثبتوا بذلك ووقعوا فيما وقع فيه المشركون الأوائل من ائتمارهم بأوامر متبوعيههم ومحبوبيهم وانتهاهم عما نهوهم عنه، وتحريمهم ما حرموه واستحلالهم ما حللوه كيفما كان، وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم هذا شركا والقوم في غفلة أو إغراض عن العقيدة الموجبة عليهم والحررة لنفوسهم استرقاق الطواغيت ؛ لأن تحقيق عبودية الله يضمن إشراق العقيدة، وعمق الإخلاص لله في النفوس يعصم صاحبه من احتيال شياطين الإنس له، وصدق الجهاد في سبيله ابتغاء مرضاته يحول دون ظهورهم لفتنة الناس، فإذا لم تتحقق العبودية بذلك حصل نقيضها من تلك الظلمات الوثنية التي ذكرناها والتي قاسيناها وافت بما أولادنا اغتاروا بالأسماء الكاذبة المحببة لها إليهم وهي سراب أو علقم وخراب بجميع ما فيها من معنى" (٣) .

الردة

"وهكذا لو اعتقد حل ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كاستحلال الزنا والخمر، وعقوق الوالدين، أو استحلال قطع الطريق أو اللواط أو أكل الربا، وما أشبه ذلك من الأمور المعروفة بتحريمها بالنص والإجماع- إذا اعتقد حلها كفر

إجماعا، نسأل الله العافية وصار حكمه حكم المشركين شركا أكبر.

وهكذا من استهزأ بالدين، وسخر به حكمه حكمهم، وكفره كفر أكبر، كما قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} [سورة التوبة: ٦٥]. {لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [سورة التوبة: ٦٦] (٢) وهكذا لو استهان بشيء مما عظمه الله احتقارا له، وازدراء له، كأن يستهين بالمصحف، أو يبول عليه، أو يطأ عليه، أو يقعد عليه، أو ما أشبه ذلك استهانة به، كفر إجماعا؛ لأنه بذلك يكون متنقضا لله، محتقرا له؛ لأن القرآن كلامه سبحانه وتعالى، فمن استهان به فقد استهان بالله عز وجل، وهذه الأمور قد أوضحها العلماء في باب حكم المرتد، ففي كل مذهب من المذاهب الأربعة ذكروا بابا سموه:

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٥١)

(٢) ثلاثة الأصول وشروط الصلاة والقواعد الأربع (ص: ٤٧)

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم ٩١/١

باب حكم المرتد، أوضحوا فيه جميع أنواع الكفر والضلال، وهو باب جدير بالاعتناء، ولا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه أنواع الردة، والتبس الأمر في ذلك على كثير من الناس، فمن عني به حق العناية عرف نواقض الإسلام، وأسباب الردة، وأنواع الكفر والضلال.

والنوع الثاني: الشرك الأصغر، وهو ما ثبت بالنصوص تسميته شركاً، لكنه لم يبلغ درجة الشرك الأكبر، فهذا يسمى شركاً أصغر مثل: الرياء والسمعة كمن يقرأ يرائي، أو يصلي يرائي، أو يدعو إلى الله يرائي ونحو ذلك. فقد ثبت في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال: الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة للمرائين: اذهبوا إلى من كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء؟» رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن محمود بن لبيد الأشهلي الأنصاري رضي الله عنه ورواه الطبراني أيضاً والبيهقي وجماعة مرسلين عن محمود المذكور وهو صحابي صغير لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن مراسلات الصحابة صحيحة وحجة عند أهل العلم، وبعضهم حكاه إجماعاً (١).

العقيدة السجود لغير الله

{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ } [سورة البقرة: ٣٤].
قلت: وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذته جهال المتصوفة عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم، فيرى الواحد منهم إذا أخذه الحال بزعمه يسجد للأقدام «١» لجهله سواء أكان للقبلة أم غيرها جهالة منه، ضل سعيهم وخاب عملهم" (٢).

وقال القرطبي رحمه الله عند قوله تعالى: { وَرَفَعَ أَبْوَابَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ وَجَاءَ بِكَرْمٍ مِنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رُبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣١﴾ } [سورة يوسف: ١٠٠].

قلت: هذا الانحناء والتكفي الذي نسخ عنا قد صار عادة بالديار المصرية، وعند العجم، وكذلك قيام بعضهم إلى بعض، حتى إن أحدهم إذا لم يقيم له وجد في نفسه كأنه لا يؤبه به، وأنه لا قدر له، وكذلك إذا التقوا انحنى بعضهم لبعض، عادة مستمرة، ووراثية مستقرة لا سيما عند التقاء الأمراء والرؤساء. نكبوا عن السنن، وأعرضوا عن السنن (٣).

العقيدة - الطاعة في معصية الله

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند قوله تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ } [سورة التوبة: ٣١]

"والمشركون في هذه الأزمان من الهند وغيرهم يحجون إلى آلهتهم كما يحجون إلى سمناة وغيره من آلهتهم

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٣، ٤٤)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/ ٢٩٤)

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩/ ٢٦٥)

وكذلك النصرارى يحجون إلى قمامة وبيت لحم ويحجون إلى القونة التي بصيدنايا والقونة الصورة وغير ذلك من كنائسهم التي بها الصور التي يعظمونها ويدعونها ويستشفعون بها وقد ذكر العلماء من أهل التفسير والسير وغيرهم أن أبرهة ملك الحبشة الذى ساق الفيل إلى مكة ليهدمها حين استولت الحبشة على اليمن وقهروا العرب ثم بعد هذا وفد سيف بن ذي يزن فاستنجد كسرى ملك الفرس فأنجده بجيش حتى أخرج الحبشة عنها وهو ممن بشر بالنبي وكانت آية الفيل التي أظهر الله تعالى بها حرمة الكعبة لما أرسل عليهم الطير الأبايل ترميهم بحجارة من سجيل أي جماعات متفرقة والحجارة من سجيل طين قد استحجر وكان عام مولد النبي وهو من دلائل نبوته وأعلام رسالته ودلائل شريعته والبيت الذى لا يحج ولا يصلى إليه إلا هو وأمته" (١) .

العقيدة الاحتكام الى القوانين الوضعية

سئل الشيخ ابن باز رحمه الله سؤالا يقول السائل "ما رأيكم في المسلمين الذين يحتكمون إلى القوانين الوضعية مع وجود القرآن الكريم والسنة المطهرة بين أظهرهم؟

ج: رأيي في هذا الصنف من الناس الذين يسمون أنفسهم بالمسلمين، في الوقت الذي يتحاكمون فيه إلى غير ما أنزل الله، ويرون شريعة الله غير كافية ولا صالحة للحكم في هذا العصر - هو ما قال الله سبحانه وتعالى في شأنهم حيث يقول سبحانه وتعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} {سورة النساء: ٦٥} ويقول سبحانه وتعالى: {وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} {سورة المائدة: ٤٤} {وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} {سورة المائدة: ٤٥} {وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} {سورة المائدة: ٤٧} [٤٧] (٢) .

بيان الفرق بين الإيمان والكفر :

تنوعت طرق القرآن في المقارنة بين الإيمان والشرك بما يثبت ضلال المشركين والكافرين ويرسخ الإيمان في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً إلى إيمانهم ومن ذلك قوله تعالى : {اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {سورة النور: ٣٥} فالإيمان كله نور وماله إلى نور ومستقره في القلب المضئ المستنير والمقترن بأهله الأرواح المستنيرة المضيئة المشرقة والكفر والشرك كله ظلمة وماله إلى الظلمات ومستقره في القلوب المظلمة والمقترن بها الأرواح المظلمة فتأمل الاستعاذة برب الفلق من شر الظلمة ومن شر ما يحدث فيها ونزول هذا المعنى على الواقع يشهد بأن القرآن بل هاتان السورتان من أعظم أعلام النبوة وبراهين صدق رسالة محمد ومضادة لما جاء به الشياطين من كل وجه وإن ما جاء به ما تنزلت به الشياطين

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٧ / ٣٥٥)

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١ / ٢٧١)

وما ينبغي لهم وما يستطيعون فما فعلوه ولا يليق بهم ولا يتأتى منهم ولا يقدرين عليه وفي هذا أبين جواب وأشفاه لما يورده أعداء الرسول عليه من الأسئلة الباطلة التي قصر المتكلمون غاية التقصير في دفعها وما شفوا في جوابها وإنما الله سبحانه هو الذي شفى وكفى في جوابها فلم يجوجنا إلى متكلم ولا إلى أصولي ولا أنظار فله الحمد والمنة لا نحصي ثناء عليه".^(١)

محااربة الرباء :

ليس شيء أحب لأعمال المؤمن من الرباء ولذلك صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر وهو الرباء " ولهذا ناطق القرآن وهداياته تدفع هذا الخطر عن المؤمن تحذيرا واحتتابا فهو ماحق للعمل محبط للأجر والثواب والسائر إلى الله ما يضره شيء مثل أن تحبط أعماله ويدخلها الرباء المنافي للإخلاص ، عن ابن وهب يقول سمعت مالك بن أنس يقول: ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف. قلت: هذا في زمن مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عم فينا الفساد وكثر فيه الطغام! وطلب فيه العلم للرئاسة لا للدراية، بل للظهور في الدنيا وغلبة الأقران بالمرء والجدال الذي يقسي القلب ويورث الضغن، وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى^(٢).

الوسيلة إلى الشرك لهم حكم الغاية :

الوسائل لها احكام الغايات ولقطع الوصول إلى الغاية الفاسدة تحرم الوسائل ومن ذلك الوسائل المفضية إلى الشرك "فقد أمر رسول الله بهدم القبور المشرفة فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت عليها أولى وأحرى لأنه لعن متخذي المساجد عليها ونهى عن البناء عليه فيجب المبادرة والمساعدة إلى هدم ما لعن رسول الله فاعله ونهى عنه والله عز وجل يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما ويذب عنهما فهو أشد غيرة وأسرع تغييرا وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج فلى قبر وطفية فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح هذا الوقف ولا يحل إثباته وتنفيذه"^(٣).

المحن والابتلاءات اختبار للعقيدة :

ما من زمان إلا وتقع فيه من المحن والابتلاءات ما يتمايز بها الناس وتختلف مواقفهم وفي زمن المحن تظهر كثير من الأمور التي لم يكن لها أن تظهر في زمان الرخاء والأمن والسلامة وغذا كان شيخ الإسلام رحمه الله تعالى يقول : " وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا بالمحن التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرا وينافق أكثرهم أو كثير منهم. ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبا؛ وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة. وإذا كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين. وهم

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٢٠)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/ ٢٨٦)

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - المعرفة (١/ ٢١٠)

مؤمنون بالرسول باطنا وظاهرا لكن إيماننا لا يثبت على المحنة. ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم".^(١) فكيف في زماننا هذا ولذلك العيش مع آيات القرآن الكريم قراءة وتدبرا وتأملا وتلاوة تعين المسلم على الثبات والخروج من المحن بسلام .

الكفر والمعاصي سبب الفتن والحروب والكوارث

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله عند قوله تعالى {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا} [سورة الأنعام: ٤٣] " وفي هذه الآية الكريمة حث من الله سبحانه لعباده وترغيب لهم إذا حلت بهم المصائب من الأمراض والجراح والقتال والزلازل والرياح والعاصفة وغير ذلك من المصائب، أن يتضرعوا إليه ويفتقروا إليه فيسألوه العون، وهذا هو معنى قوله سبحانه: {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا} [سورة الأنعام: ٤٣] والمعنى هلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا. ثم بين سبحانه أن قسوة قلوبهم وتزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة كل ذلك صدهم عن التوبة والضراعة والاستغفار فقال عز وجل: {وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سورة الأنعام: ٤٣]

وقد ثبت عن الخليفة الراشد - رحمه الله - أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما وقع الزلزال في زمانه كتب إلى عماله في البلدان وأمرهم أن يأمرؤا المسلمين بالتوبة إلى الله والضراعة إليه والاستغفار من ذنوبهم. وقد علمتم أيها المسلمون ما وقع في عصرنا هذا من أنواع الفتن والمصائب، ومن ذلك تسليط الكفار على المسلمين في أفغانستان والفلبين والهند وفلسطين ولبنان وأثيوبيا وغيرها، ومن ذلك ما وقع من الزلازل في اليمن وبلدان كثيرة، ومن ذلك ما وقع من فيضانات مدمرة والرياح العاصفة المدمرة لكثير من الأموال والأشجار والمراكب وغير ذلك، وأنواع التلوج التي حصل بها ما لا يحصى من الضرر، ومن ذلك المجاعة والجذب والقحط في كثير من البلدان، وكل هذا وأشباهه من أنواع العقوبات والمصائب التي ابتلى الله بها العباد بأسباب الكفر والمعاصي، والانحراف عن طاعته سبحانه والإقبال على الدنيا وشهواتها العاجلة، والإعراض عن الآخرة وعدم الإعداد لها إلا من رحم الله من عبادة، ولا شك أن هذه المصائب وغيرها توجب على العباد البدار بالتوبة إلى الله سبحانه من جميع ما حرم الله عليهم، والبدار إلى طاعته وتحكيم شريعته والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه، ومتى تاب العباد إلى ربه وتضرعوا إليه، وسارعوا إلى ما يرضيه"^(٢) .

الطعن في حملة العقيدة والسخرية من بالمؤمنين :

من أخطر وسائل أهل الأهواء والشبهات في التشويه بعقيدة المؤمن أنهم يطعنون في حملة العقيدة ويسعون إلى إسقاط مكانتهم في المجتمعات ويحاولون ترصد الأخطاء والبث عن الزلات بل - أحيانا - حتى ما ليس بخطأ ولا زلة فيحاولون تضخيم الأخطاء ونشرها بين الناس والتعذر بأعذار واهية والحقيقة أنهم يهدفون إلى محاربة العقيدة أصلا ولكن من خلال حملتها ودعاتها يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : " إنَّ أعداء الله يَصِفُونَ أوليائه بما يُوجِبُ التنفيرَ عنهم لقولهم: {أَنْتُمْ مِنْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ} [سورة البقرة: ١٣] فأعداء الله في كلِّ زمانٍ، وفي كلِّ مكانٍ، يَصِفُونَ أوليائه الله بما يُوجِبُ التنفيرَ عنهم فالرُّسُلُ وَصَفَهُمْ قَوْمُهُم بِالْجُنُونِ،

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨١)

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٢/ ١٢٩، ١٣٠)

والسحر، والكهانة، والشعر تنفيراً عنهم، كما قال تعالى: {كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} [سورة الذاريات: ٥٢] وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ} وورثته الأنبياء مثلهم يجعل الله لهم أعداء من المجرمين، ولكن {وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} [سورة الفرقان: ٣١] فهما بلغوا من الأساليب فإن الله - تعالى - إذا أراد هداية أحدٍ، فلا يمنعه إضلال هؤلاء لأن أعداء الأنبياء يسلكون في إبطال دعوة الأنبياء مسلكين مسلك الإضلال، والدعاية الباطلة في كلِّ زمانٍ، ومكانٍ، ثمَّ مسلك السلاح أي المجاهدة المسلحة" (١).

" ومثل هذا رموا به أتباع الأنبياء كقوله: {وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ} [سورة المطففين: ٣٢] ومثله في هذه الأمة كثير يسخرون من المؤمنين ويرمونهم بالجنون والعظائم التي هم أولى بها منهم. قال الحسن لقد رأيت رجالاً لو رأيتهم لقلتهم مجانين ولو رأوكم لقالوا هؤلاء شياطين ولو رأوا خياركم لقالوا هؤلاء لا خلاق لهم ولو رأوا شراركم لقالوا هؤلاء قوم لا يؤمنون بيوم الحساب. وهذا كثير في كلام السلف؛ يصفون أهل زمانهم وما هم عليه من مخالفة من تقدم فما الظن بأهل زماننا. والذين لم يفهموا هذا. (٢)

التحذير من الفرقة والاختلاف في الدين :

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " أن الله سبحانه ذم الذين تقطعوا أمرهم بينهم زيرا كل حزب بما لديهم فرحون، والزير: الكتب المصنفة التي رغبوا بها عن كتاب الله وما بعث الله به رسوله، فقال تعالى: {يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [سورة المؤمنون: ٥١-٥٣] فأمر تعالى الرسل بما أمر به أممهم: أن يأكلوا من الطيبات، وأن يعملوا صالحاً، وأن يعبدوه وحده، وأن يطيعوا أمره وحده، وأن لا يفرقوا في الدين؛ فمضت الرسل وأتباعهم على ذلك، ممثلين لأمر الله، قابلين لرحمته، حتى نشأت خلوف قطعوا أمرهم بينهم زيرا كل حزب مما لديهم فرحون، فمن تدبر هذه الآيات ونزلها على الواقع تبين له حقيقة الحال، وعلم من أي الحزبين هو، والله المستعان" (٣).

اتخاذ البطانة من دون المؤمنين :

المحافظة على وحدة الكلمة في المجتمع المسلم وسلامته من الدخلاء مطلب ملح وضرورة قائمة ففساد الداخل وتفرقه أخطر من هجوم الخارج بأضعاف مضاعفة ولذلك لما جاء الصحابي الذي كان يتناوب مع

(١) تفسير ابن عثيمين عند تفسيره لقوله تعالى: {قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ} (البقرة: من الآية ١٣) تفسير سورة البقرة (٥٠/١). وانظر: تفسير سورة النساء - (٣٦١)، تفسير سورة يس ص (١٧٢، ٢٤٥)، تفسير جزء عم ص (١٠٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٧٣، ٧٢ / ١٦)

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢ / ١٦١، ١٦٢)

عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في حضور مجلس النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء يخبر بضر الباب على عمر ضرباً مفرعاً حتى ظن عمر أنه هناك عدواً خارجياً جاء ليهجم على المدينة فقد كانوا يترقبون عدواً يستعد فقال بل أكبر من ذلك أو أدهى من ذلك " أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق نساءه " فالمشكلة الداخلية ولو كانت أسرية تفت عضد المجتمع وتعرضه للسقوط أكثر وأشد من الهجوم الخارجي ولو كان جيشاً غازياً وقد حذر القرآن الكريم من أن يكون في المجتمع عناصر أو أسباب تعمل على زعزعته وإدخال القلق ونشر الخوف فيه وحذر من اتخاذ بطانة تعمل ضد المجتمع ولو كانت داخل المجتمع وتعيش في أوساط الناس فقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ۚ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨] (لا يألونكم خبالاً) يقول فساداً. يعني لا يتركون الجهد في فسادكم، يعني أنهم وإن لم يقاتلوكم في الظاهر فإنهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعة، على ما يأتي بيانه. وروي عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ۚ﴾ قال: (هم الخوارج). وروي أن أبا موسى الأشعري استكتب ذمياً فكتب إليه عمر يعنفه وتلا عليه هذه الآية. وقدم أبو موسى الأشعري على عمر رضي الله عنهما بحساب فرفعه إلى عمر فأعجبه، وجاء عمر كتاب فقال لأبي موسى: أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس؟ فقال: إنه لا يدخل المسجد. فقال لم! أجنب هو؟ قال: إنه نصراني، فانتهره وقال: لا تدنهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله. وعن عمر رضي الله عنه قال: لا تستعملوا أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرشا، واستعينوا على أموركم وعلى رعيتكم بالذين يخشون الله تعالى. وقيل لعمر رضي الله عنه: إن هاهنا رجلاً من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا آخذ بطانة من دون المؤمنين. فلا يجوز استكتاب أهل الذمة، ولا غير ذلك من تصرفاتهم في البيع والشراء والاستنابة إليهم. قلت: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتخاذ أهل الكتاب كتبة وأمناء وتسودوا بذلك عند الجهلة الأغبياء من الولاة والأمراء.^(١)

عداوة الكفار

قال الامام ابن باز رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة آل عمران: ١١٨]. "ففي هذه الآيات الكريمات حث المؤمنين على بغض الكافرين، ومعاداتهم في الله سبحانه من وجوه كثيرة، والتحذير من اتخاذهم بطانة، والتصريح بأنهم لا يقصرون في إيصال الشر إلينا، وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ والخبال هو: الفساد والتخريب. وصرح سبحانه أنهم يودون عنتنا، والعنت: المشقة، وأوضح سبحانه أن البغضاء قد بدت من أفواههم وذلك

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤/ ١٧٩)

فيما ينطقون به من الكلام لمن تأمله وتعقله وما تخفي صدورهم أكبر من الحقد والبغضاء ونية السوء لنا أكبر مما يظهرونه، ثم ذكر سبحانه وتعالى أن هؤلاء الكفار قد يتظاهرون بالإسلام نفاقاً ليدركوا مقاصدهم الخبيثة وإذا حلوا إلى شياطينهم عضوا على المسلمين الأنامل من الغيظ، ثم ذكر عز وجل أن الحسنات التي تحصل لنا من العز والتمكين والنصر على الأعداء ونحو ذلك تسوؤهم وأن ما يحصل لنا من السوء كالهزيمة والأمراض ونحو ذلك يسرهم وما ذلك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لنا ولديننا.

ومواقف اليهود من الإسلام ورسول الإسلام وأهل الإسلام كلها تشهد لما دلت عليه الآيات الكريمة من شدة عداوتهم للمسلمين، والواقع من اليهود في عصرنا هذا وفي عصر النبوة وفيما بينهما من أكبر الشواهد على ذلك، وهكذا ما وقع من النصارى وغيرهم من سائر الكفرة من الكيد للإسلام ومحاربة أهله، وبذل الجهود المتواصلة في التشكيك فيه والتنفير منه والتليبس على متبعيه وإنفاق الأموال الضخمة على المبشرين بالنصرانية والدعاة إليها، كل ذلك يدل على ما دلت عليه الآيات الكريمة من وجوب بغض الكفار جميعاً والحذر منهم ومن مكائدهم ومن اتخاذهم بطانة.

فالواجب على أهل الإسلام أن ينتبهوا لهذه الأمور العظيمة وأن يعادوا ويغضوا من أمرهم الله بمعاداته وبغضه من اليهود والنصارى وسائر المشركين حتى يؤمنوا بالله وحده، ويلتزموا بدينه الذي بعث به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم. وبذلك يحققون اتباعهم ملة أبيهم إبراهيم ودين نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أوضحه الله في الآية السابقة^(١).

التشبه باليهود والنصارى :

صراحة القرآن الكريم والسنة في الموقف من التشبه باليهود والنصارى واضحة وبينه وعليه كان التحذير والتشديد في هذا الأمر لما يمثله من خطر على العقيدة الإسلامية وما له من أثر على سلوك المسلم وعلاقته بربه ودينه ونبيه ولذلك من المصائب العظام أن ينغل المسلمون عن دينهم بدينيهم بينما أهل الباطل يعلمون لدينهم وأعظم من ذلك ان يسعى المسلم جاهداً لتقليد الكفار والسعي وراء ثقافتهم وأخلاقهم والافتخار بذلك (ألا ترى أنه بتجميد المسلمين لرسالتهم شغل أعدائهم الفراغ الذي أحدثوه، فجنّدوا عشرات الآلاف من المبشرين ومثلهم من الملاحدة لنشر المسيحية الكاذبة والإلحاد، ففتنوا أولاد المسلمين وأشغلواهم بالملذات والأباطيل حتى جعلوهم كالأنعام، وما الذنب إلا ذنب المسلمين الجامدين القاعدين عن رسالتهم، الوثائقين بأعدائهم حيث يتسابقون إلى إدخال أولادهم المدارس التي يدرس بها خريجو مدارس فرنسيس وأفراخ الإفرنج، فهل فاقد الشيء يعطيه؟! وهل يرجون من شجار الحنظل رماناً أو برتقالاً؟! أم أنهم لما نسوا الله أنساهم أنفسهم؟ فعلى عباد الله الانتباه للواقع السيء من جديد؛ ليصححوا دينهم ويحققوا عبوديتهم لله^(٢).

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢ / ١٨٠).

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم ٦٠/١ ، ٦١

العقيدة - الكهانة والعرافة

قال الامام القرطبي رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْبَسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ } [سورة الأنعام: ٥٩].

"فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا: يؤدب ولا يسجن. أما عدم تكفيره فلأن جماعة قالوا: إنه أمر يدرك بالحساب وتقدير المنازل حسب ما أخبر الله عنه من قوله: {وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ} [سورة يس: ٣٩]. وأما أدبهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة، إذ لا يدركون الفرق بين هذا وغيره، فيشوشون عقائدهم ويتركون قواعدهم في اليقين فأدبوا حتى يسروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا به.

قلت: ومن هذا الباب (أيضا) ما جاء في صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أتى عرافا (فسأله عن شيء) لم تقبل له صلاة أربعين ليلة"^(١). والعراف هو الحازر والمنجم الذي يدعي علم الغيب. وهي من العرافة وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها. وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وأسباب معتادة في ذلك. وهذا الفن هو العيافة (بالياء). وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة، قاله القاضي عياض. والكهانة: ادعاء علم الغيب. قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الكافي: من المكاسب المجتمع على تحريمها الربا ومهور البغايا والسحت والرشاء وأخذ الأجرة على النياحة والغناء، وعلى الكهانة وادعاء الغيب وأخبار السماء، وعلى الزمر واللعب والباطل كله .

قال علماؤنا: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين، والكهان لا سيما بالديار المصرية، فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين، بل ولقد أخذ كثير من المنتسبين للفقهاء والدين فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال، واستخرجوا منهم الأموال فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل، ومن أديانهم على الفساد والضلال. وكل ذلك من الكبائر، لقول عليه السلام: "لم تقبل لصلاة أربعين ليلة". فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمدا على أقوالهم"^(٢).

التحذير من الغلو :

الإسلام دين الهدى والنور والحق المبين فلا غلو ولا تفريط ولذا حذر القرآن والسنة تحذيرا شديدا من الغلو ومن الغالين الذين يشوهون جمال الدين ويسئئون إلى سمعته ومكانته في أكثر من موضع وهدايات القرآن في هذا الجانب تبرز شناعة الغلو وتقصم ظهر الغالين وتحسم الأمر بما لا يدع محالا لمشكك أو طاعن في منهج القرآن في التعامل مع الغلو وأهله قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة؛ حتى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضا من

(١) صحيح مسلم ١٧٥١/٤ ح (٢٢٣٠)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٧ / ٣)

الإسلام والسنة حتى يدعي السنة من ليس من أهلها بل قد مرق منها وذلك " بأسباب " - منها الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} إلى قوله: {وكفى بالله وكيلًا} [سورة النساء: ١٧١] وقال تعالى. {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾} [سورة المائدة: ٧٧] وقال النبي صلى الله عليه وسلم {إياكم والغلو في الدين وإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين} وهو حديث صحيح. ومنها التفرق والاختلاف الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز: ومنها أحاديث تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي كذب عليه باتفاق أهل المعرفة يسمعونها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة ظنه وهواه. (١)

عقيدة الفرق

" وهذه الآية منطبقة على أصحاب الأحوال الشيطانية الذين لهم كشوف شيطانية وتأثير شيطاني فيحسبهم الجاهل أولياء الرحمن وإنما هم من أولياء الشيطان أطاعوه في الإشراف ومعصية الله والخروج عما بعث به رسله وأنزل به كتبه فأطاعهم في أن خدمهم بإخبارهم بكثير من المغيبات والتأثيرات واغتر بهم من قل حظه من العلم والإيمان فوالى أعداء الله وعادى أوليائه وحسن الظن بمن خرج عن سبيله وسنته وأساء الظن بمن اتبع سنة الرسول وما جاء به ولم يدعها لأقوال المختلفين وآراء المتحيرين وشطحات المارقين وترهات المتصوفين والبصير الذي نور الله بصيرته بنور الإيمان والمعرفة إذا عرف حقيقة ما عليه أكثر هذا الخلق وكان ناقدا لا يروج عليه الزغل تبين له أنهم داخلون تحت حكم هذه الآية وهي منطبقة عليهم" (٢) .

ويقول في موطن آخر عند قول الله تعالى: {فَهَرَّ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾} [سورة البقرة: ١٨].

"ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي فشبههم بأصحاب صيب وهو المطر الذي يصبوب أي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيته وخطابه الذي يشبه الصواعق فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوفه جعل أصابعه في أذنيه خشية من صاعقة تصيبه وقد شاهدنا نحن وغيرنا كثيرا من مخانيث تلاميذ الجهمية والمبتدعة إذا سمعوا شيئا من آيات الصفات وأحاديث الصفات المنافية لبدعتهم رأيتهم عنها معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ويقول مخنثهم سدوا عنا هذا الباب واقرأوا شيئا غير هذا وترى قلوبهم مولية وهم يجمعون لثقل معرفة الرب سبحانه تعالى وأسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم وكذلك المشركون على اختلاف شركهم إذا جرد لهم التوحيد وتليت عليهم نصوصه المبطللة الماء الذي به الحياة لشركهم اشتمزت قلوبهم وثقل عليهم لو وجدوا السبيل إلى سد آذانهم لفعلوا وكذلك نجد أعداء أصحاب رسول الله ثقيل ذلك عليهم جدا فأنكرته قلوبهم وهذا كله شبه ظاهر ومثل محقق من اخوانهم من المنافقين في المثل الذي ضربه الله لهم بالماء

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٣)

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - المعرفة (٢/ ٢٣٧)

فإنهم لما تشابحت قلوبهم تشابحت أعمالهم" (١) .

ويقول الامام الالوسي رحمه الله "وقد ظهر في هذا العصر -سنة ١٢٦١- عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبايية لهم في هذا الباب فصول يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم في سلك ذوي العقول، وقد كاد يتمكن عرقهم في العراق لولا همة واليه النجيب الذي وقع على همته وديانته الاتفاق حيث خذلهم نصره الله تعالى وشئت شملهم وغضب عليهم رضي الله تعالى عنه وأفسد عملهم فجزاه الله تعالى عن الإسلام خيرا ودفع عنه في الدارين ضيما وضيرا. وادعى بعضهم الوحي إلى عيسى عليه السلام بعد نزوله، وقد سئل عن ذلك ابن حجر الهيثمي فقال نعم يوحى إليه عليه السلام وحي حقيقي كما في حديث مسلم وغيره عن النواس بن سمعان، وفي رواية صحيحة «فبينما هو كذلك إذ أوحى الله تعالى يا عيسى إني أخرجت عبادا لي لا يد لأحد بقتالهم فحول عبادي إلى الطور وذلك الوحي على لسان جبريل عليه السلام إذ هو السفير بين الله تعالى وأنبيائه» (٢)

ويقول في موطن آخر: "وهم الفرقة المفتعلة المنفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله تعالى وفي مراقصهم عطلها الله تعالى بأبيات الغزل المقولة في المرد إن الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين منها صعقة موسى عليه السلام، ثم ذك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا، ومن كلماهم كما أنه بذاته يجبههم كذلك يجبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات، ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة انتهى كلامه.

وقد خلط فيه الغث بالسمين فأطلق القول بالقدح الفاحش في المتصوفة ونسب إليهم ما لا يعبأ بمرتكبه ولا يعد في البهائم فضلا عن خواص البشر، ولا يلزم من تسمي طائفة بهذا الاسم غاصبين له من أهله ثم ارتكابهم ما نقل عنهم بل وزيادة أضعاف أضعافه مما نعلمه من هذه الطائفة في زماننا - مما ينافي حال المسمين به حقيقة أن نؤاخذ الصالح بالطالح ونضرب رأس البعض ببعض {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [سورة الأنعام: ١٦٤]، [سورة الإسراء: ١٥]، [سورة فاطر: ١٨]، [سورة الزمر: ٧].

ويقول "ويعضد هذا القول ما حكاه أبو جعفر الإمامي عن بعض النصارى أنه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم: المريمية يعتقدون في مريم أنها إله. وهذا كما كان في اليهود قوم يعتقدون أن عزيرا ابن الله عن اسمه وهو أولى الأوجه عندي. وما قرره الزاعم من أن النصارى يعتقدون إلخ غير مسلم في نصارى زماننا ولم ينقله أحد ممن يوثق به عنهم أصلا. وإظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند إلى عيسى عليه الصلاة والسلام" (٣) .

ويقول في موطن آخر "وَيَقُولُونَ سَيُعَذِّبُنَا وَلَا بَد لَنَا وَأَصْلُونُ كَامِلُونَ وهذا حال كثير من متصوفة زماننا فأنهم يتهافتون على الشهوات تحافت الفراش على النار ويقولون: إن ذلك لا يضرنا لأننا واصلون.

وحكي عن بعضهم أنه يأكل الحرام الصرف ويقول: إن النفي والإثبات يدفع ضرره وهو خطأ فاحش وضلال بين أعاذنا الله تعالى وإياكم من ذلك. وأعظم منه اعتقاد حل أكل مثل الميتة من غير عذر شرعي

(١) أمثال القرآن لابن القيم (ت: ناصر الرشيد) (٢ / ٣)

(٢) تفسير الألوسي = روح المعاني (١١ / ٢١٩)

(٣) تفسير الألوسي = روح المعاني (٤ / ٦٢)

لأحدهم ويقول: كل منا بحر والبحر لا ينحس ولا يدري هذا الضال أن من يعتقد ذلك أنجس من الكلب والخنزير" (١) .

عقيدة الصوفية

{وَأِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ} [سورة الحج: ٧٢]. الآية فيه إشارة إلى ذم المتصوفة الذين إذا سمعوا الآيات الرادة عليهم ظهر عليهم التحم والبسور وهم في زماننا كثيرون فإننا لله وإنا إليه راجعون (٢) .

عقيدة النصارى

يصف الإمام القاسمي رحمه الله حال بعض النصارى في زمنه فيقول: "أخذ بعض نصارى هذا العصر يتذبذب في الاعتقاد، فطفق يرد على المسيحيين قوله بتثليث الآلهة، وأنه مضاد لصريح نصوص الوحي، أخذ يسلم بحقية القرآن وكذا التوراة والإنجيل الموجودين وأحما لم يحرفا تحريفاً جوهرياً، واعتقد بصلب المسيح يقيناً، وصار يناقش المفسرين فيما فسروا به الآية المذكورة، أعني آية الصلب، زاعماً أن المنفي عن اليهود فيها هو نسبه الفعل لهم تويخاً لتهكمهم وازدراءهم، وَرَدَّ فعل الصلب إليه تعالى، وقد توسع في هذا الموضوع وألف كتاباً سماه "المعتقد الصحيح في صلب السيد المسيح" ولما كان مبحثه غريباً جداً، أردت أن أورد هنا بعض تمويهاته في رسالته، وأعقبها بما فوّق عليه من سهام ردود تهافته.

قال في أول رسالته: إن التباس فهم آية الصلب هو غالباً في تقدير نائب الفاعل لفعل (شبه لهم) فإننا إن قدرنا نائب الفاعل مصدرراً مأخوذاً من الفعل السابق المذكور في الآية: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ} [سورة النساء: ١٥٧] وكان التقدير شبه لهم أنهم قتلوه وأهم صلبوه، أو شبه لهم قتلهم له وصلبهم إياه، والمعنى أنه مثل أو خيل لهم أنهم كانوا هم القاتلين وهم الصالبين - انحلت المسألة تقريباً، وزالت كل صعوبة تأويل، حيث إن السيد المسيح لم يقتل أصلاً، ولا صلب قهراً، أو مات جبراً، أو اضطراراً، بل هو من نفسه (على زعمه) قدم ذاته للصلب عن رغبته واختياره ورضاه، فكأن اليهود لم يفعلوا شيئاً بقدرتهم ومجرد إرادتهم، حتى يحق لهم الافتخار بأنهم قتلوه، وأما إن قدر المسيح نائب الفاعل ل (شبه) تعقدت المسألة وضاع السياق اللغوي، لأنه لا وجه، لغوياً، في الآية يثبت وقوع الصلب على رجل آخر غيره، إذ لم يذكر صريحاً ولا إشارة.

ثم ذكر في الفصل السادس أن القرآن العزيز لم يؤنب النصارى، ولا مرة، على ضلال اعتقادهم بصلب المسيح وموته وقيامته، ولا كذب الإنجيل أو الحواريين، ولا لام الذين آمنوا بصلب المسيح، حال كونه نبههم مراراً على غير ضلالات عندهم" (٣) .

عقيدة البدع

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن حديث قدسي فقال السائل: "يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: "الكبرياء إزاري والعظمة ردائي" فما معنى الإزار والرداء في الحديث؟ وهل ثبت لبس الإزار

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني (٥ / ١٠٣)

(٢) تفسير الألوسي = روح المعاني (٩ / ٢٠٢)

(٣) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) (٤ / ٤٢٩)

والرداء لله تعالى أم هي صفة نقص؟ وأثابكم الله؟

ج: الحقيقة أن هذا مما نقول فيه كما قال الإمام مالك: إنه مما لا ينفع العلم به، والإزار والرداء بالنسبة إلى الله عز وجل ليس كالإزار والرداء بالنسبة إلينا؛ ولهذا يجب علينا أن نقول كما قال - النبي عليه الصلاة والسلام - ولا نسأل عن هذا؛ لأن السؤال عن هذا بدعة. هل نحن أحرص من الصحابة - رضي الله عنهم - على معرفة صفات الله؟! لا والله، وهل المسئول منا أعلم بذلك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟! لا والله، إذًا ما دام الصحابة - رضي الله عنهم - وهم أحرص منا على معرفة الله - تعالى - بأسمائه وصفاته لم يسألوا الرسول ﷺ وهو أعلم من سيحيب، فالواجب علينا السكوت، أن نقول بما جاء به الحديث ونسكت عما وراء ذلك، ونقول: إن الله - سبحانه وتعالى - يفعل ما يشاء" (١) .

تغير أحوال الناس من أثر المعاصي

وأما المنحرفون عن هذه العقيدة والسائرون على ضدها فهم أصناف كثيرة، فمنهم عباد الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والجن والأشجار والأحجار وغيرها، فهؤلاء لم يستجيبوا لدعوة الرسل، بل خالفوهم وعاندوهم كما فعلت قريش وأصناف العرب مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا يسألون معبوداتهم قضاء الحاجات وشفاء المرضى والنصر على الأعداء، ويذجون لهم وينذرون لهم، فلما أنكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده استغربوا ذلك وأنكروه وقالوا: { أَجْعَلُ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَبَّبٌ } [سورة ص: ٥] فلم يزل صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الله وينذرهم من الشرك ويشرح لهم حقيقة ما يدعو إليه حتى هدى الله منهم من هدى، ثم دخلوا بعد ذلك في دين الله أفواجا، فظهر دين الله على سائر الأديان بعد دعوة متواصلة، وجهاد طويل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، ثم تغيرت الأحوال وغلب الجهل على أكثر الخلق حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهلية، بالغلو في الأنبياء والأولياء ودعائهم والاستغاثة بهم وغير ذلك من أنواع الشرك، ولم يعرفوا معنى لا إله إلا الله كما عرف معناها كفار العرب، فالله المستعان" (٢) .

أثر المعاصي على حياة الناس :

من أساليب التحذير من المعاصي ذكر أثارها وأضرارها على المستوى الخاص والعام وفي القرآن من الأمثلة على ذلك ما لا يخفى من هلاك الأمم وزوال الدول وتحول الأحوال وتغير النفوس بسبب ما كسبت الأيدي واقترفت "فإن لم يتسّع علمك لهذا فاكتف بقوله تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ } [سورة الروم: ٤١]، ونزل هذه الآية على أحوال العالم، وطابق بين الواقع وبينها، وأنت ترى كيف تحدث الآفات والعلل كل وقت في الثمار والزرع والحيوان" (٣) ..

(١) كتب القواعد والأصول للشيخ ابن عثيمين (١ / ٢٢، ٢٣)

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١ / ٢٤)

(٣) الطب النبوي - الكتاب العربي (ص: ٢٧٠)، زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٣٢)

الانحراف في الموقف من النعم

من فضله الواسع أنه اسبغ نعمه الظاهرة والباطنة على خلقه وأن أحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث وحثهم على الأكل والشرب من الطيب دون إسراف مع الشكر لله سبحانه وتعالى ولكن وقع الانحراف من بعض الفرق في الغلو في التزهّد حتى أنهم حرموا أنفسهم وغيرهم ممن قلدتهم واتبعهم من طيبات ما أحل الله وقد قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [سورة المائدة: ٨٧]. قال علماؤنا رحمة الله عليهم في هذه الآية وما شابهها والأحاديث الواردة في معناها رد على غلاة المتزهدين، وعلى أهل البطالة من المتصوفين، إذ كل فريق منهم قد عدل عن طريقه، وحاد عن تحقيقه. (١)

الرد على شبهات المشركين قديما وحديثا :

الشبهات التي تعلق بها المشركون قديما أبطلت حجتها من نزول القرآن مباشرة في الرد عليها ومحققها وبيان فسادها ومع استمرار الجهل وبعد الناس عن القرآن تعود بعض الشبهات وتأتي بوجه جديد لكن ردود القرآن على القديمة يصلح على المتأخرة فحجة القرآن عامة وصالحة لكل زمان ومكان قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله "وشبهة هؤلاء المتأخرين هي شبهة الأولين، وهي قولهم: { هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } [سورة يونس: ١٨]، { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } [سورة الزمر: ٣] وقد أبطل الله هذه الشبهة وبين أن من عبد غيره كائنا من كان فقد أشرك به، وكفر، كما قال تعالى: { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } فرد الله عليهم سبحانه بقوله: { قُلْ أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [سورة يونس: ١٨] فبين سبحانه في هذه الآية أن عبادة غيره من الأنبياء والأولياء أو غيرهم، هي الشرك الأكبر، وإن سماها فاعلوها بغير ذلك وقال تعالى: { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } فرد الله عليهم سبحانه بقوله: { إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ } [سورة الزمر: ٣] فأبان بذلك سبحانه أن عبادتهم لغيره بالدعاء والخوف والرجاء ونحو ذلك كفر به سبحانه، وأكذبهم في قولهم: إن آلهتهم تقرهم إليه زلفى.

ومن العقائد الكفرية المضادة للعقيدة الصحيحة، والمخالفة لما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام: ما يعتقد الملاحدة في هذا العصر من أتباع ماركس ولينين وغيرهما، من دعاة الإلحاد والكفر، سواء سمو ذلك اشتراكية أو شيوعية أو بعثية أو غير ذلك من الأسماء فإن من أصول

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦/ ٢٦٢)

هؤلاء الملاحدة أنه لا إله والحياة مادة، ومن أصولهم إنكار المعاد وإنكار الجنة والنار، والكفر بالأديان كلها، ومن نظر في كتبهم ودرس ما هم عليه علم ذلك يقينا، ولا ريب أن هذه العقيدة مضادة لجميع الأديان السماوية، ومفضية بأهلها إلى أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة، ومن العقائد المضادة للحق ما يعتقده بعض المتصوفة من أن بعض من يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير، ويتصرفون في شئون العالم، ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغواث، وغير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لأهنتهم، وهذا من أقبح الشرك في الربوبية، وهو شر من شرك جاهلية العرب؛ لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في العبادة، وكان شركهم في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيخلصون لله العبادة، كما قال الله سبحانه: { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ } [سورة العنكبوت: ٦٥] (١) .

القرآن:

القرآن العظيم هو كلام الله المنزل على نبينا محمد ﷺ وقد أمر الله نبيه محمد ﷺ بقرآته وتعليمه للناس وبذلك سار الصحابة والتابعين والعلماء في الحث على تلاوته والعمل والاقتصار على كتاب الله وسنة رسوله فهذا الامام ابن حزم رحمه الله يقول عند قول الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ { [سورة العنكبوت: ٥١] . قال: " أخبر تعالى أن الواجب علينا أن نكتفي بما يتلى علينا وهذا منع صحيح لتعديه إلى طلب تأويل غير ظاهره المتلو علينا فقط وقال تعالى أمرا لنبية صلى الله عليه وسلم أن يقول ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا تَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ { [سورة الأنعام: ٥٠] . إلى منتهى قوله تعالى قال علي ولو لم يكن إلا هذه الآية لكفت لأنه عليه السلام قد تبرأ من الغيب وأنه إنما يتبع ما يوحى إليه فقط ومدعي التأويل وتارك الظاهر تارك للوحي مدع لعلم الغيب وكل شيء غاب عن المشاهد الذي هو الظاهر فهو غيب ما لم يقم عليه دليل من ضرورة عقل أو نص من الله تعالى أو من رسوله صلى الله عليه وسلم أو إجماع راجع إلى النص المذكور وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ { [سورة الأنعام: ١١٤] " (١)

يقول الامام الألويسي رحمه الله عند قول الله تعالى (فَإِذَا قُرَأَتْهُ) "ما يتعلق به فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ بالعمل بما يقتضيه من الاستعداد له (ثم إن علينا بيانه) (٢) إظهاره وقوعا بالنفخ في الصور وهو الطامة الكبرى وحاصله لا تسأل عن توقيت ذلك اليوم العظيم مستعجلا" (٣).

يقول الشيخ الدوسري في كيفية التعامل مع كتاب الله تعالى أن يكون الانسان مثل الجندي الذي يتلقى الأوامر فيقول: " فعبودية الله تستلزم من عبده الصادق أن يقرأ ذلك الكتاب كقراءة الجندي والموظف الذي يقرأ كتاب رئيسه ليعمل بمقتضاه وينفذ وصاياه، متشرفا به إن كان مخلصا" (٤) ويقول: "إن القرآن يشمخ برؤوسنا في عالم السياسة إلى أسمى مدارج الكمال وهو وحده الذي يرفع رؤوس اهله ويهيب بهم، أن لا يستعينوا بغيرهم في دفع أي عادية، أو ردع أي عدو أو قمع أي ظالم أو إخراج أي متعصب بل يعتمدوا على الله، ثم على أنفسهم بعد الأخذ بالأسباب وإعداد القوة الموجبة عليهم في قتال كل باغ وظالم مستعينين بالله وحده بنية خالصة وألسنة صادقة لإعلاء كلمته وبجوارح طاهرة من معصيته وقلوب محشوة بمحبته وتعظيمه

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٣/ ٤٢، ٤٣).

(٢) صحيح البخاري ١٦٣/٦ ح (٤٩٢٨)

(٣) تفسير الألويسي = روح المعاني (١٥٩ / ١٥)

(٤) صفوة الآثار والمفاهيم ١٥٩/١

سليمة من محبة ما يبغضه وموالاة من يعاديه، وبذلك ينالون مدده وحصانته ونصره على أعدائهم مهما كانوا، كما أجرى سنته بذلك"^(١).

ومن العمل بالقرآن التداوي به يقول ابن القيم رحمه الله " وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي، فإن هذا لا يجلب لك، فيفريق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفريق المصروع ولا يجس بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارا.

وكان كثيرا ما يقرأ في أذن المصروع: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾} [سورة المؤمنون: ١١٥].

وحدثني أنه قرأها مرة في أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومد بها صوته. قال: فأخذت له عصا وضربت بها في عروق عنقه حتى كلت يداي من الضرب، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذلك الضرب. ففي أثناء الضرب قالت: أنا أحبه، فقلت لها: هو لا يحبك، قالت: أنا أريد أن أحج به فقلت لها: هو لا يريد أن يحج معك، فقالت: أنا أدعه كرامة لك، قال: قلت: لا ولكن طاعة لله ولرسوله، قالت: فأنا أخرج منه، قال: فقعد المصروع يلتفت يمينا وشمالا، وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ؟ قالوا له: وهذا الضرب كله؟ فقال وعلى أي شيء يضربني الشيخ ولم أذنب، ولم يشعر بأنه وقع به ضرب البتة."^(٢)

وهو علاج أيضاً للأمراض المعنوية يقول الشيخ الدوسري رحمه الله: "والمسلمون اليوم يشكلون رقم هائلا في العدد بين العالم، ويملكون من ينابيع الثروة ما يقدرون به على تفجير جميع الطاقات، ولديهم من الأسلحة ما يتمكن بها المهاجم من نكاية عدوه، ولكن أدمغتهم قد عشش فيها الضعف المعنوي، لما (انحشت) بالأفكار المادية، والنظريات العصرية، التي فسد بها غذاء العقل، فإن العقل لا يكون صريحا صحيحا سالما من الشوائب والأمراض المعنوية حتى ينحصر غذاؤه على روح الله، الذي هو القرآن الكريم والسنة، وكل من امتزج غذاء عقله بغير القرآن، حصل له من الفساد والابرافات بحسب ما خالطه، فكيف بمن لم يخالط القرآن بشاشة قلبه والعباد بالله؟"^(٣).

ويقارن الامام الدوسري رحمه الله زمنه بزمن الصحابة فيقول "ولقد كان السلف لا يتجاوزن بعض آيات منه حتى يحفظوها ويتدبروها ويقوموا بواجبها من التنفيذ ولم يكن همهم مقصور على الاستكثار من قراءته كحالنا في هذا العصر، لشعورهم بعظم المسؤولية من الواجبات والتكاليف حتى حصلت عندهم الملكة على

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ١/٢٦٥، ٢٦٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/٦٢، ٦٣).

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم ١/٣٠٠.

تحملها بكاملها، ورعايتها حق رعايتها"^(١).

ويقول ناصحا الأمة : "فعلى أمتنا المحمدية أن تغير موقفها من القرآن فتعمل به جميعا في غاية التنفيذ والتطبيق، ولا تشابه اليهود في العمل ببعض التوراة وترك البعض الآخر فإن هذا كفر يوجب الخزي في الحياة الدنيا قبل الآخرة"^(٢).

فإن في القرآن انحصار الهداية يقول الشيخ الدوسري رحمه الله " انحصار الهداية العامة في القرآن الكريم تفسير قوله تعالى(الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) يقول (فهو كتاب لا ريب فيه) مبارك فمن الضروري انحصار الهداية العامة فيه، ولهذا قال سبحانه وتعالى (هدى للمتقين) حاذفا المتعلق، لأن حذف المتعلق يشعر بالتعميم، كما قرر علماء البيان والأصوليون.

فإنه العليم الحكيم قرر هدى القرآن دون أن يقتصر هدايته على ناحية من نواحي بل جعل تلك الهداية شاملة لجميع شؤون الحياة: السياسية والثقافية والاقتصادية، والاجتماعية والحربية والسلمية وقد تركزت أصول جميع ذلك وضوابطه فيه.."^(٣)

وهو دستور كامل شامل لنظام الأمة يقو الشيخ الدوسري رحمه الله: "القرآن دستور كامل شامل لنظام الدنيا وخير الآخرة، وصفه منزله سبحانه وتعالى بأنه (هدى للمتقين) في عامة أحوالهم حتى أن جميع قصصه محتوية على الأحكام والعبر"^(٤)

ويقول "(وللاختصار أنبه القراء والسامعين إلى سورة واحدة قصيرة أودع الله فيها دستورا عظيما للحياة السلمية والحربية وضمنها من حقوق الإنسان ما لم يستطع إليه العقل البشري بجميع منظماته الدولية الممتحنة بشتى أنواع التجارب القاسية لا منظمة حقوق الإنسان ولا ما هو أعلى منها فهذه السورة التي سبقتهم بأربعة عشر قرنا إلى أشرف الغايات وأحمل الخصال وهي سورة الحجرات التي ابتدأها الله سبحانه بتركيز القيادة العامة في المسلمين بوحى السماء تمكيننا لإقرارها في حياة الناس حيث قال لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) وهذا أخذ بحجزهم من أول الطريق حتى لا يدع لهم شيئا من الخيرة في أمر الله ورسوله ولا يجعل لهم الحق التقدم عليه، بأي أمر أو رأي يعارضه ولذا جاء النص بصورة تجمع شوارد النفس كما قال في الآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)

ثم تأتي بالأمر الصريح بالتزام الأدب كما سنفصله في تفسير تلك السورة، ثم تركز الثقة بالقيادة وتقطع الطريق على كل من يريد النيل منها أو الإساءة إليها أو يعمل على شيء من الاستفزاز لها أو عليها كما

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ١/١٦٠.

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم ٢/٢٤٦.

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم ٦/٢.

(٤) صفوة الآثار والمفاهيم ٣/١٣٨، ١٣٧.

سنوضحه أيضا عن شاء الله.

وكذلك تركيز التفويض للقيادة ومعالجة كل خصومة بالصلح أولا، ثم بتأديب الباغي المعتدي ثانيا حتى يرجع إلى رشده محفوظ له حقه من العد والقسط، ومحترم دينه الطعن فلا يخرج من الدين بمجرد القتال بل هو باق على أخوة الدين فنزوة الطيش التي سببتها أغراض النفوس لا تخرج صاحبها من الإيمان كما هو واضح من أول السياق وآخره" (١)

وقد تضمن على عناصر القوة وعوامل البناء للأمة فيقول: "لقد أودع الله في القرآن ما يبني الإنسانية بناء محكما لا يتصدع أبدا مادام هو الرباط الحديدي المعنوي المشتبك فيه لأنه أمد أهله بجميع عناصر القوة في الحياة من القوة في العقيدة، والقوة في الأخلاق، والقوة في العلم النافع بأنواعه الروحي والمادي والقوة في المال، والقوة في التكاتف الاجتماعي، والقوة في الزحف الحربي المتواصل، والقوة في التنظيمات السلمية، وأوجب عليهم بكل تحميم وتشديد أن يرخصوا النفس والمال في سبيل الدفع بالعقيدة والرسالة إلى الأمام فضلا عن الذود عنهما، وجاء بتقويم الأخلاق وتحصينها من الانحلال" (٢) ويقول "إن القرآن الكريم يشمخ برؤوسنا في عالم السياسة إلى أسمى مدارج الكمال، وهو وحده الذي يرفع رؤوس أهله ويهيب بهم، ألا يستعينوا بغيرهم في دفع أي عادية، أو ردع أي عدو، أو قمع أي ظالم، أو إخراج أي متعصب، بل يعتمدوا على الله، ثم على أنفسهم بعد الاخذ بالأسباب وإعداد القوة الموجبة عليهم في قتال كل باغ وظالم مستعينين بالله وحده، بنية خالصة، وألسنة صادقة لإعلاء كلمته، وبجوارح طاهرة من معصيته، وقلوب محشوة بمحبته وتعظيمه، سليمة من محبة ما يبغضه، وموالة من يعاديه" (٣).

ويقول: (وأعجب من هذا أن تمر السنون والأحقاب والقرون والأجيال وتتغير أحوال العمران والقرآن لم يتغير ولم تنقص منه كلمة، وهذا من فضل الله القائل انا نحن نزلنا الذكر وانان له لحافظون) بل العجب العجاب أن معانيه تتجدد على مرور السنين والحوادث فتجد معانيه وأحكامه جديدة عند كل نازلة وعند تجدد أزمات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فلا يتدبر المتفكر آياته إلا ويجدها جديدة بحسب حالات زمانه، لأنه {نَزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [سورة فصلت: ٤٢] (٤).

والقرآن يربط بين الماضي والحاضر فيقول الشيخ الدوسري رحمه الله "هذه السورة لو اعتنى —أي سورة البقرة— المسلمون بقراءتها وتدبر معانيها وما فيها من خالص اللباب الذي لا قشور فيه كعادة القرآن لعرفوا حقيقة واحبهم المقدس في هذه الحياة وعرفوا سنة الله في المنتكبين عن وظيفته والمفضلين

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ٣ / ١٢٥، ١٢٦

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم ٣ / ١٣٨، ١٣٧

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم ١ / ٢٦٤، ٢٦٥

(٤) صفوة الآثار والمفاهيم ٦ / ٦.

عليها وشمخوا برؤوسهم عن تقليد بني إسرائيل في الشؤون السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية أو الاجتماعية وأخذوا منها درسا عظيما يفتح لهم نوافذ على الكون ويجعلهم ربانيين كالصحابة والتابعين هذا لو عمرت بيوتهم بقراءة تلك السورة ولم تنقلب حالتهم إلى الحسرة والحسرات إن في هذه السورة خير متبصر لهم و أقوى مندفع يعيدون به سيرتهم الأولى.

عند تفسير قوله تعالى {قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنْبٌ فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾} [سورة آل عمران: ١٣٧]. الى {وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا} [سورة آل عمران: ١٤٠].

فالتدبر لهذه الآيات يجد القرآن يربط ماضي البشرية وحاضرها بماضيها. ^(١).

وفي التفكير في آيات الله لا بد من قلب حاضر متعظ وكم من الآيات التي تمر على الانسان ولا يتعظ بما يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله عند قول الله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٥٠﴾} [سورة يوسف: ١٥٠]. قال بعد أن ذكر المسألة الثامنة: إن الذي أتاهم من الآيات ليست هذه وحدها، بل كم وكم من الآيات السماوية والأرضية يمرون عليها، ويعرضون عن الانتفاع بها، وليس هذا قصورا في البيان، فإنه مشاهد، بل القلوب غير قابلة ^(٢).

وفي ختام تفسير سورة الفاتحة يقول: (ومن تدبر معاني هذه السورة الكريمة وأحواتها ومفسراتها من وحي الله المنزل على رسوله كتابا وسنة وهو صادق في استعاذته من جنس الشيطان، ابتعاده عنه ونفرته منه، استنار بأنوار التوجيه التي تهديه إلى الاستقامة على عبادة الله والتزامها في كل ميدان من ميادين الحياة حتى يموت على ذلك محتسبا ولا يجعل لنفسه حرية الشهوة أو ترك العمل دون برهان من الله بالرجوع إلى أمره وحكمه فيه ^(٣)).

والقرآن الكريم هو المصدر الأول للعقيدة يقول الشيخ ابن باز رحمه الله " وكتابه الكريم هو المصدر الأول لعقيدة الإسلام وأحكامه، وهو الذي يعطي المؤمنين علاجا لقلوبهم، وإراحة لضمائرهم، بذكر الله، وتعويد اللسان على هذا العمل، {أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} [سورة الرعد: ٢٨]

وفي عصرنا الحاضر، مع تداخل الشعوب، واحتكاك الأمم، وكثرة المؤثرات والمخترعات وتباين الثقافات واختلاطها بتطور

وسائل الإعلام، وسرعة توصيلها للمعلومات من مكان لآخر، وتقارب البلاد من أطراف الأرض بعضها من بعض، بحيث أصبحت هموم بعضهم تروق البعض الآخر، نراهم يجربون حلولا مختلفة، من شعارات ومبادئ لتريح نفوسهم، وتخفف من آلامهم وتحل بعضا من مشكلاتهم.

لكنها لم تجد شيئا ولم تخفف عما داخل نفوسهم، وخلخل مجتمعاتهم؛ لأنها لم تكن من عند الله الحليم

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ٣ / ٥٩٥

(٢) مؤلفات الشيخ / القسم الرابع / التفسير ص "١٧٨" وانظر قسم التحقيق ص "٣٩١، ٣٩٢".

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم ١ / ١٩٣، ١٩٤

العليم، ولا صادرة عن شرعه الذي شرع لعباده، وصدق الله إذ يقول موضحا مكانة القرآن الذي حفظه عن العبث والتغيير، ونزحه عن الخلافات والمتناقضات: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [سورة النساء: ٨٢] وقال سبحانه: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [سورة الفرقان: ٣٣] وقال عز وجل: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} [سورة النحل: ٨٩] ^(١).

وعلى أهل القرآن أن يحسنوا التعامل مع كتاب ربهم وفي مثل هذا يقول الشيخ الدوسري رحمه الله "وعلى أهل القرآن أن يحسنوا موقفهم من القرآن، وألا يشابهوا أهل الكتاب في موقفهم من كتابهم، وألا يستمروا في غفلتهم عن القرآن، وعدم اعتبارهم بحججه الدامغة، وتأثرهم بأساليبه العظيمة المؤثرة، فإن الاستمرار على ذلك جالب للجنة الله التي حلت باليهود" ^(٢).

وإلى اللذين يقرؤون القرآن وليس لهم حظ الا التغني بألفاظه يقول "على الذين يقرؤون القرآن وليس لهم حظ منه إلا التغني بألفاظه وهز رؤوسهم وأبدانهم دون أفئدتهم، فإن قلوبهم خالية منه، ولذا كانت أعمالهم لا تنطبق عليه، فهم أشر ممن لم يقرؤوا القرآن وقد أخبر النبي بحدوثهم آخر الزمان، وأنهم يجعلون القرآن مزامير... ثم قال: وما ، المقصد من إنزال الكتب الإلهية إلا العمل بها، فتعطيل العمل بكتاب الله تعطيل لألوهيته في الأرض، وهذا شرك تعطيل أفضح من شرك التحريف" ^(٣).

والله قد أكمل الدين وحفظه فعند قول الله تعالى {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} [سورة المائدة: ٣] يقول الشيخ الدوسري رحمه الله: "في نص الله على إكماله الدين أكبر دليل واضح على فساد التهم التي يلصقها أعداء الدين بالدين قديما وحديثا من الكفار والزنادقة والمنافقين ومن أصناف المبشرين والمستشرقين والعناصر الماسونية اليهودية وتلاميذها من أبناء المسلمين الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه كالقوميين العقائديين وطواغيت الأفكار والمذاهب المادية والمبادئ الأرضية من سائر الأحزاب المختلفة ممن يزعمون أن الدين مدعاة للتخلف والجمود والاستدلال أو سبب للطائفية" ^(٤).

وبترك المسلمين العمل بكتاب الله تعالى يتكالب عليهم الأعداء يقول الشيخ الدوسري رحمه الله "ألا ترى أنه بتحميد المسلمين لرسالتهم شغل أعداؤهم الفراغ الذي أحدثوه، فجنودوا عشرات الآلاف من المبشرين ومثلهم من الملاحدة لنشر المسيحية الكاذبة والإلحاد، ففتنوا أولاد المسلمين وأشغلوه بالمملذات والأباطيل حتى جعلوهم كالأنعام، وما الذنب إلا ذنب المسلمين الجامدين القاعدين عن رسالتهم، الواثقين بأعدائهم حيث

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢/ ٣٦١، ٣٦٢)

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم ٢/٢٦١.

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم ٢/١٧٣.

(٤) صفوة الآثار والمفاهيم ٦/١١٢.

يتسابقون إلى إدخال أولادهم المدارس التي يدرس بها خريجو مدارس فرنسيس وأفراخ الإفرنج، فهل فاقد الشيء يعطيه؟! وهل يرجون من أشجار الحنظل رمانا أو يرتقلا؟! أم أنهم لما نسوا الله أنساهم أنفسهم؟ فعلى عباد الله الانتباه للواقع السيء من جديد؛ ليصححوا دينهم ويحققوا عبوديتهم لله" (١).

ومن الناس من انشغل عن كتاب الله بغيره من الكتب يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عند تفسير قوله تعالى {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾} [سورة يوسف: ١١١]. "تعريفه سبحانه بالأحاديث المفتراة وإقبال الأكثر عليها واشتراء الكتب المصنفة بغالي الأثمان وتكبر من اشغل بها وظنه أنه أفضل ممن لم يشتغل بها وزعمه أنها من العلوم الجليلة ومع هذا معرض عن قصص الأنبياء مستحقر له زاعم أنه علم العوام الجهال" (٢).

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ١/٦٠، ٦١.

(٢) مؤلفات الشيخ/ القسم الرابع/ التفسير ص "١٨١".

المبحث الثاني: تنزيل هدايات الآيات في جانب العبادات:

الواجب على الانسان أن يتعلم العلم ليعبد الله على بصيرة وهدى يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: " فالواجب علينا جميعاً أن نتعلم ديننا من كتاب ربنا، ومن سنة نبينا عليه الصلاة والسلام حتى نعلم العبادة التي خلقنا لها، ما هي العبادة التي خلقنا لها" (١).

والأصل في العبادات التوقف حتى يقوم الدليل يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "فإن كان من العبادات الأصل المنع حتى يقوم دليل على الإذن به، وإن كان من غير العبادات فالأصل الحل حتى يقوم دليل على المنع، فإذا تنازع شخصان في حل صيد صاده أحدهما، فقال أحدهما هو حرام، وقال الثاني: هو حلال ولم نجد نصاً عليه بالمنع، فإنه حلال رجوعاً إلى الأصل، وكذلك لو شككنا في معاملة من المعاملات هل هي حلال أو حرام، فهي حلال حتى يقوم دليل على المنع منه، وهذا الأصل ينفع فيما حدث ذلك من المعاملات في هذا العصر، فإذا شككت في معاملة ما هل هي حلال أو حرام فهي حلال، والذي يقول: إنها ممنوعة هو المطالب بالدليل بناء على ما ذكرناه من هذه القاعدة العظيمة، وهذا ينطبق في ما اختلف الناس فيه اليوم من المعاملات الحادثة التي لم تكن معروفة من قبل بين الفقهاء، فإنه يمكنك أن تنزلها على هذه القاعدة، فترجع إلى الأصل، والأصل في المعاملات هو الحل حتى يقوم دليل على المنع" (٢).

ومن تلك العبادات هي الصلاة فكل من أدركه وقتها لزمته الصلاة يقول الامام ابن العربي رحمه الله عند قوله تعالى { أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } [سورة الإسراء: ٧٨]. قال: "فَكُلُّ مَنْ ذَكَرْتُمْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ مُخَاطَبٌ بِالصَّلَاةِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ مُخَاطَبٌ بِالْإِسْتِعَادَةِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ خَافَ يُقِيمُ الصَّلَاةَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ" (٣).

إذا مات الإنسان وهو لا يصلي فإنه لا يجوز أن يدعى له بالرحمة ولا أن يُهدى إليه ثواب شيء من الأعمال الصالحة فقال معلقاً على قوله تعالى { وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِفُونَ } (٨١) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } (٨٥) [سورة التوبة: ٨٤-٨٥]. يقول " إذا مات الإنسان وهو لا يصلي فإنه لا يجوز أن يدعى له بالرحمة ولا أن يُهدى إليه ثواب شيء من الأعمال الصالحة، بل ولا يجوز أن يغسل ولا يكفن ولا يدفن في مقابر المسلمين والواجب على أهله إذا مات وهو لا يصلي الواجب عليهم أن يخرجوا به في الصحراء بعيداً عن المنازل ويحفروا لها حفرة ويدفون فيها، ولا يحل لأحد علم من ميتة أنه لا يصلي لا

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٧ / ٣٨٠)

(٢) كتب القواعد والأصول للشيخ ابن عثيمين (١ / ٤٨).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٢ / ٥٧٧)

يجل له أن يغسله أو يكفنه ثم يقدمه إلى المسلمين يصلون عليه، لأن الله يقول {وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} (٨٥) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} (٨٥) { [سورة التوبة: ٨٤-٨٥]. وهذه مصيبة عمت في عصرنا هذا فإن بعض الناس لا يصلى، يشهد عليه أنه لا يصلى ويعرف ذلك أهله ثم يموت ثم يقدمونه إلى المسلمين ليصلوا عليه، وهذا لا شك أنه حرام عليهم، وأنه خيانة خدعوا بها المسلمين، فكما أنه لا يجوز أن تأتي يهودي أو نصراني لنصلى عليه فكذلك لا يجوز أن يأتي بمرتد لأن نصلى عليه، بل حال المرتد أسوأ من حال اليهودي والنصراني، ولهذا المرتد لا يقر على دينه بل يؤمر بالإسلام أي بالعودة إليه وإلا قتل، والمرتد لا تحل ذبيحته، واليهودي والنصراني يقر على دينه وتحل ذبيحته، ومعنى يقر على دينه ليس معناه أنه يقر على أنه دين صحيح، فإن اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان كلها نسخت بهذا الدين الإسلامي وأصبحت ليس ديناً يدان الله به، بل قال الله تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (١٠٥) { [سورة آل عمران: ٨٥]. لكن يقر على دينه بمعنى أننا لا نلزمه بالإسلام إذا كان خاضعاً لأحكام الإسلام وبإذلاً للجزية" (١).

ولا بد من الخشوع في الصلاة فهو روح الصلاة وليس للمصلي الا ما عقل من صلواته والخشوع هو سكن النفس يقول الامام القرطبي رحمه الله عند قوله تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّدًا مَّثَانِي تَشْجَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (٢٣) { [سورة الزمر: ٢٣]. يقول وهو يذكر أحوال الخاشعين ويرد على من زعم الخشوع في الصراخ والنهيق فيقول: "أي تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله. فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير. فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفاً من الله" (٢).

ويذكر الامام ابن العربي رحمه الله قصة وقعت في زمنه تبين حال ذلك الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي وكيف أنه كان مشغلاً بصلواته ونفسه عن الناس وصلاتهم فيقول عند تفسير قول الله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} (٤) { [سورة المؤمنون: ٢] بعد أن ذكر أقوال العلماء في الخشوع " وقال مقاتل: لا يعرف من على يمينه، ولا من على يساره. صليت المغرب ليلة ما بين باب الأخضر، وباب حطة من البيت

(١) فتاوى نور على الدرب - لابن عثيمين (٢٠٣ / ٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٦٦ / ٧).

المقدس، ومعنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي الزاهد، فلما سلمنا تمارى رجلان كانا عن يمين أبي عبد الله المغربي؛ وجعل أحدهما يقول للآخر: أسأت صلاتك، ونقرت نقر الغراب. والآخر يقول له: كذبت؛ بل أحسنت وأجملت. فقال المعترض لأبي عبد الله الزاهد: ألم يكن إلى جانبك؛ فكيف رأيته يصلي؟ قال أبو عبد الله: لا علم لي به، كنت مشتغلا بنفسي وصلاتي عن الناس وصلاتهم. فحجل الرجل وأعجب الحاضرون بالقول. وصدق شيخنا أبو عبد الله الزاهد؛ لو كان لصلاته قدر، أو له بها شغل وإقبال بالكلية لما علم من عن يمينه، أو عن يساره فضلا عن معرفته كيفية صلاته، وإلا فأحد الرجلين أساء صلاته في حذف صفاتها، واختصار أركانها، وهذا أساء صلاته في الاشتغال بصلاة هذا، حتى ذهب حفظ صلاته وخشوعها"^(١).

وليس من الخشوع في شيء ما يفعله الصوفية من الرقص يقول الالوسي رحمه الله واصفا من يفعله أهل عصره من المشايخ: "وأكثر مشايخ زماننا يرقصون عند سماع الذكر فما أدري أن يشأ رقصهم عن وجل منه تعالى أم عن طمأنينة؟ وسيظهر ذلك يوم تبلى السرائر وتظهر الضمائر"^(٢).

ومن العبادة الدعاء فإن من التجئ إلى الله عز وجل بضراعة واحتبات فإن الله سيحييه ويعطيه ما طلب يقو الامام ابن القيم رحمه الله: "وأنت ترى في المشاهد . والله المثل الأعلى . أن الرجل إذا توسل إلى ما يريد معروفة بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب لقضاء حاجته . فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا تنكر ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغاً لا صبر معه ونحو ذلك، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء أعطني كذا وكذا. فإذا عرفت هذا فتأمل قول موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَعَائِهِ {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [سورة القصص: ٢٤] وقول ذي النون في دَعَائِهِ {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [سورة الأنبياء: ٨٧] وقول أدينا آدم {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سورة الأعراف: ٢٣]"^(٣).

ومن العبادات الشكر وبالشكر تحفظ النعم يقول الشيخ ابن باز رحمه الله مذكرا بما كان عليه الناس فيقول: " فقد يتلى الله عباده بالفقر والحاجة كما حصل لأهل هذه البلاد في أول القرن الرابع عشر قال تعالى: {وَلَتَبْلُوكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [سورة البقرة: ١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [سورة البقرة: ١٥٥-١٥٦]

(١) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٣/ ٣١٣)

(٢) تفسير الألوسي = روح المعاني (٩/ ١٥٣)

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٩٠)

كما يتلهم بالنعم وسعة الرزق كما هو واقعنا اليوم ليختبر إيمانهم وشكرهم قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} {سورة التغابن: ١٥} والعاقبة الحميدة في كل ذلك للمتقين الذين تكون أعمالهم وفق ما شرع الله كالصبر والاحتساب في حال الفقر وشكر الله على النعم وصرف المال في مصارفه في حال الغنى.

ومن الاقتصاد صرف المال في مصارفه في المأكل والمشرب من غير تقتير على النفس والأهل، ولا إسراف في تضييع المال من غير حاجة وقد نهى الله عن ذلك كله قال تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} {سورة الإسراء: ٢٩} وقال تعالى في النهي عن إضاعة المال: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا} {سورة النساء: ٥} الآية.

نهى الله جل وعلا في هذه الآية عن إعطاء الأموال للسفهاء؛ لأنهم يصرفونها في غير مصارفها فدل ذلك على أن صرفها في غير مصارفها أمر منهي عنه، وقال تعالى: {يَبْنَئِ عَادَمَ حُدُوءَ زَيْتَكُمُ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} {سورة الأعراف: ٣١} وقال سبحانه: {وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا} {سورة الإسراء: ٢٦-٢٧} الآية.

والإسراف هو: الزيادة في صرف الأموال على مقدار الحاجة. والتبذير: صرفها في غير وجهها.

وقد ابتلي الناس اليوم بالمباهاة في المأكل والمشرب خاصة في الولائم وحفلات الأعراس فلا يكتفون بقدر الحاجة وكثير منهم إذا انتهى الناس من الأكل ألقوا باقي الطعام في الزبالة والطرق الممتهنة. وهذا من كفر النعمة وسبب في تحولها وزوالها، فالعاقل من يزن الأمور بميزان الحاجة وإذا فضل شيء عن الحاجة بحث عن من هو في حاجته وإذا تعذر ذلك وضعه في مكان بعيد عن الامتهان لتأكله الدواب ومن شاء الله ويسلم من الامتهان.

والواجب على كل مسلم أن يحرص على تجنب ما نهى الله عنه وأن يكون حكيما في تصرفاته مبتغيا في ذلك وجه الله شاكرا لنعمه، حذرا من التهاون بها وصرفها في غير مصارفها قال تعالى: {خَطَا! الْإِشَارَةُ الْمَرْجِعِيَّةُ غَيْرُ مَعْرِفَةٍ. لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} {سورة إبراهيم: ٧} وقال عز وجل: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} {سورة البقرة: ١٥٢} وأخبر سبحانه أن الشكر يكون بالعمل لا بمجرد القول فقال سبحانه: {أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا} {سورة سبأ: ١٣}. فالشكر لله سبحانه يكون بالقلب واللسان والعمل، فمن شكر الله قولاً وعملاً زاده من فضله وأحسن له العاقبة، ومن كفر بنعم

الله ولم يصرفها في مصارفها فهو على خطر عظيم وقد توعدده الله بالعذاب الشديد" (١) .

ومن أدى عبادة الله على الوجه الأكمل رزقه الله من حيث لا يحتسب يقول القاسمي رحمه الله عند قول الله تعالى { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآيَاتِ الْمُنِيرَةِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنَّ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } {سورة النور: ٣٢} .

فأريد قلع هذا الخيال المتمكن من الطبع، بالإيدان بأن الله تعالى قد يوفر المال وينميها، مع كثرة العيال التي هي سبب من الأوهام، لنفاد المال. وقد يقدر الإملاق مع عدمه، الذي هو سبب في الإكثار عند الأوهام. والواقع يشهد لذلك بلا مرء . فدل ذلك قطعاً على أن الأسباب التي يتوهمها البشر ، مرتبطات بمسبباتها ، ارتباطاً لا ينفك - ليست على ما يزعمونه . وإنما يقدر الغنى والفقر مسبب الأسباب . غير موقوف تقدير ذلك إلا على مشيئة خاصة" (٢) .

وأما الذين لم يحققوا فلا بد أن يصاب بأزمة الضمير يقول الشيخ الدوسري رحمه الله : " أما من لم يحقق عبودية الله فلا بد أن يصاب بأزمة الضمير، وتذهب نفسه حسرات على من تعلق به من أشخاص ومبادئ كما هي الحال المشاهدة في أهل هذا الزمان." (٣)

وأنه لا نجاة للعبد الا بتحقيق عبادة الله والاستعانة به يقول الشيخ الدوسري عند تفسير قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) " ولا نجاة اليوم من همزات شياطين الإنس وطواغيتهم إلا بتحقيق (اياك نعبد واياك نستعين) بجميع معانيها ومبانيها، ولاسيما في هذا العصر، عصر التهريج والتلبيس والمغالطات التي تحملها أمواج الأثير في الإذاعات، وتبثها دور الطبع والنشر من كل حدب وصوب، ممن غايتهم العلو في الأرض واللعب بمقدرات الشعوب تحت ستار الأوهام والأباطيل، إذ مهمة الطاغوت في كل زمان ومكان الجناية على عقولهم حتى يسخرهم لأغراضه" (٤) .

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٤ / ٣٧، ٣٨)

(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) (٧ / ٣٩٧)

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم ٩٤/١

(٤) صفوة الآثار والمفاهيم ٦٤/١

تنزيل هدايات الآيات في جانب العلم والدعوة الى الله:

لا يخفى على المسلم ما للعلم من أهمية كبيرة، فقد أعلى الله منزلة أهل العلم فقال {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [سورة المجادلة: ١١]. وقال {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [سورة الزمر: ٩].

وقد ورد في السنة المطهر أحاديث في فضل العلم وأهل.

وحث العلماء على العلم النافع الذي يفقهه الناس معناه فيقول الامام محمد بن عبد الوهاب عند قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} [سورة هود: ١٥]. "وقد ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعل الناس اليوم ولا يعرفون معناه"^(١).

وعلى الانسان أن يتلقى العلم من أهل العلم الموثوق بهم ولا يأخذ العلم عن كتاب فيقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب عند قوله تعالى {وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ} [سورة البقرة: ١٠٢]. فيقول: "لا تأمن الكتب ولا من ينتسب إلى العلم على دينك"^(٢).

وذكر أن هناك من يجمع من الكتب الغير مفيدة فعند قوله تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) يقول " تعريفه سبحانه بالأحاديث المفتراة وإقبال الأكثر عليها واشتراء الكتب المصنفة بغالي الأثمان وتكبر من اشغل بها وطنه أنه أفضل ممن لم يشغل بها وزعمه أنها من العلوم الجليلة ومع هذا معرض عن قصص الأنبياء مستحقر له زاعم أنه علم العوام الجهال"^(٣).

وذكر الشيخ أن الانسان يتعلم من أهله فعند تفسيره لقوله تعالى {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعُقُوبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} [سورة هود: ٤٩] فيقول "إذا تأمل الإنسان حاله أولا وما تعلم من العلوم من أهله، ثم تفكر في هذه القصة - هل علم منها زيادة على ما عنده أو لا؟ -

تبيين الله الحجج الباطلة والتحذير منها، مع أنها عندنا أوهام، وعند أكثر الناس حجج صحيحة"^(٤).
وحيث تتغير المصطلحات يكون الناس أحوج إلى العلم، وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله ما كان في عصرة من تغير للمصطلحات فيقول "وها نحن نرى شياطين الإنس والجن في هذا الزمان يسمون

(١) تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس) (ص: ١٢٠)

(٢) مؤلفات الشيخ/ القسم الرابع/ التفسير ص "٢٤".

(٣) مؤلفات الشيخ/ القسم الرابع/ التفسير ص "١٨١".

(٤) تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس) (ص: ١٢٤)

الفساد إصلاحا والمؤامرات والفتن ونقض العهود تحرر، وخيانة الله بنبذ ملة إبراهيم وطنية... وهكذا مما تلوكه شياطين الإنس بألسنتها في الأندية والإذاعات، وتسطره في الكتب العصرية، والنشرات الدورية، والصحف التي تفاقم شرها، فما أحرى المؤمن بكثرة الإستعاذة بالله من جنس الشيطان الرجيم، القاعد لعباد الله بالمرصاد^(١). ويقول "وبدهي أن الأمة إذا فقدت أصالتها الفكرية الاستقلالية فقدت معها كل شيء؛ لأنها تصبح بلا محتوى فكري، ورصيد روحي يحفظ خصائصها، ويدفع عنها شر التيارات المجاورة التي تعمل على محقتها وسحقها بشتى أنواع الكيد والمكر، حتى تفقد كيانها"^(٢).

والقرآن الكريم مصدر العلم لأنه منزل من حكيم عليم قال الشيخ ابن باز رحمه الله " وكتابه الكريم هو المصدر الأول لعقيدة الإسلام وأحكامه، وهو الذي يعطي المؤمنين علاجا لقلوبهم، وإراحة لضمايرهم، بذكر الله، وتعويد اللسان على هذا العمل، {أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِينُ الْقُلُوبِ} [سورة الرعد: ٢٨].

وفي عصرنا الحاضر، مع تداخل الشعوب، واحتكاك الأمم، وكثرة المؤثرات والمخترعات وتباين الثقافات واختلاطها بتطور وسائل الإعلام، وسرعة توصيلها للمعلومات من مكان لآخر، وتقارب البلاد من أطراف الأرض بعضها من بعض، بحيث أصبحت هموم بعضهم تؤرق البعض الآخر، نراهم يجربون حلولاً مختلفة، من شعارات ومبادئ لترريح نفوسهم، وتخفف من آلامهم وتحل بعضاً من مشكلاتهم.

لكنها لم تجد شيئاً ولم تخفف عما داخل نفوسهم، وخلخل مجتمعاتهم؛ لأنها لم تكن من عند الله الحليم العليم، ولا صادرة عن شرعه الذي شرع لعباده، وصدق الله إذ يقول موضعاً مكانة القرآن الذي حفظه عن العبث والتغيير، ونزوه عن الخلافات والمتناقضات: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [سورة النساء: ٨٢] وقال سبحانه: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [سورة الفرقان: ٣٣] وقال عز وجل: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [سورة النحل: ٨٩]^(٣).

وقد نقل بعض المفسرين عن بعض الكتاب من غير المسلمين فهذا الامام القاسمي ينقل عن بعضهم فعند قوله تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ} [سورة الشورى: ٢٩]. فيقول: "{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ} أي : حشرهم يوم القيامة : {إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ} أي : متمكن منه ، لا يتعذر عليه وإن تفرقت أوصالهم .

وقد تحدث المفسرون عن أهمية الدعوة الى الله على بصيرة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ٣٤/١

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم ٢٨٧/١، ٢٨٨،

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٢) / ٣٦١، ٣٦٢

الشيخ ابن باز رحمه الله: "وقد أمر الله بالدعوة في آيات ورغب فيها سبحانه كما في قوله عز وجل: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ} [سورة فصلت: ٣٣] الآية، وقوله سبحانه: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [سورة النحل: ١٢٥] وأخبر سبحانه أن الدعوة إلى الله على بصيرة هي سبيل النبي صلى الله عليه وسلم، وهي سبيل أتباعه من أهل العلم كما قال الله عز وجل: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [سورة يوسف: ١٠٨]

فالواجب علينا جميعاً أن نعى بهذه المهمة أينما كنا، والواجب على أهل العلم كما تقدم أن يعنوا بها غاية العناية، ولا سيما عند شدة الضرورة إليها في هذا العصر فإن عصرنا يعتبر عصر غربة للإسلام لقلة العلم والعلماء بالسنة والكتاب ولغلبة الجهل، وكثرة الشرور والمعاصي وأنواع الكفر والضلال والإلحاد، فالواجب حينئذ يتأكد على العلماء في الدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى ما خلقوا له من توحيد الله وطاعته وأداء واجبه وترك معصيته"^(١).

وبأسلوب الين يحث الدعاة إلى الله في دعوتهم فيقول عند قوله تعالى {فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ آل عمران: ١٥٩} "يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: {فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ} يعني المدعوين من قريش وغيرهم، {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}. وقال لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام لما بعثهما إلى فرعون: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [سورة طه: ٤٤] وهذا توجيه من الله سبحانه لرسوليه موسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون، ليتأسى بذلك الدعاة ويتخلقوا به في دعوتهم إلى الله لا سيما مع الرؤساء والعظماء، ولا سيما في عصرنا هذا، فإن الحكمة والأسلوب الحسن والرفق من أهم المهمات في كل وقت وفي هذا الوقت بوجه أخص، لكثرة الجهل وغلبة الهوى على أكثر الخلق، وبالشدة ينفر منك الناس ويتعدون عنك ولا يقبل الحق إلا من رحم الله"^(٢).

ومن الدعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: "فإن حاجة المسلمين وضورتهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شديدة؛ لظهور المعاصي، وانتشار الشرك والبدع في غالب المعمورة، وقد كان المسلمون في عهده صلى الله عليه وسلم وعهد أصحابه وفي عهد السلف الصالح يعظمون هذا الواجب، ويقومون به خير قيام، فالضرورة إليه بعد ذلك أشد وأعظم، لكثرة الجهل وقلة العلم وغفلة الكثير من الناس عن هذا الواجب العظيم.

وفي عصرنا هذا صار الأمر أشد، والخطر أعظم، لانتشار الشرور والفساد، وكثرة دعاة الباطل، وقلة دعاة الخير في غالب البلاد كما تقدم، ومن أجل هذا أمر الله سبحانه وتعالى به، ورغب فيه، وقدمه في آية آل عمران

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٦ / ٤١٢)

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٧ / ٢٦٦)

على الإيمان، وهي قوله سبحانه وتعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } [سورة آل عمران: ١١٠] الآية، يعني أمة محمد عليه الصلاة والسلام، فهي خير الأمم وأفضلها عند الله، كما في الحديث الصحيح، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل»^(١).

حكم إلحاق المكتشفات الحديثة بدلالات القرآن:

ذهب بعض الباحثين في آيات القرآن الفلكية، والعوالم العلوية إلى معنى آخر في هذه الآية. وعبارته: يفهم من الآية أن الله تعالى خلق السماوات ودواب، ويستدل من قوله تعالى: { وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } [سورة النور: ٤٥]، أن هذه الدواب ليست ملائكة كما قال المفسرون، بل حيوانات كحيوانات الأرض، ولا يبعد أن يكون بينهم حيوان عاقل كالإنسان، ويلزم لحياة تلك الحيوانات أن يكون في السماوات نباتات، وأشجار، وبحار، وأحجار كما تحقق في هذا العصر لدى علماء الرصد.

ثم قال: لعمري، إن هذه الآية التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم قبل ألف وثلاثمائة وعشرين سنة، لآية لأهل هذا العصر وأية آية، آية لأهل العلم، والفلسفة الذين يبذلون الأموال، والأرواح بلا حد، ولا حساب، ليتوصلوا إلى معرفة سر من أسرار الكائنات، ومع هذا الجد العنيف والجهد المتواصل منذ ثلاثمائة سنة، لم يتوصلوا إلا بالظن إلى ما أنبأت به هذه الآية. وجل ما توصلوا إليه بالبرهان العقلي، إن الأرض أصغر من الشمس، وأنها تدور حولها، وإن الكواكب السيارات كريات، وإن النجوم الثوابت شموس، ولها سيارات تدور حولها، ولما ثبت لديهم جميعاً وجود الماء والهواء، وحصول الصيف والشتاء في هذه السيارات، ظنوا أنه يوجد فيها عالم كعالم الأرض.

وبدأ البعض منهم يفكرون بإيجاد الوسائل للمخابرة بالكهربائية مع سكان المريخ الذي هو أقرب السيارات إلينا، وليس ذلك بالمستحيل فناً. ويستدل على إمكانيته من آخر الآية نفسها وهو قوله تعالى: { وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ } [سورة الشورى: ٢٩] فلا يبعد أن يتخابرا ويجمعوا فكراً، إذا لم يجتمعوا جسماً. فلينظر الفلكيون إلى ما حوته هذه الآية المكنوزة في القرآن. وليعلم المعجبون منا بالعلوم العصرية، الضاريون صفحاً عن العلوم الإسلامية، ما في كتاب الله من الحكمة والبيان. وقال أيضاً: لا يخفى أن القرآن العظيم نزل لبيان الحق وتعليم الدين، أولاً وبالذات؛ لكن تمهيداً لهذا السبيل، أتى بشذرات من العلوم الفلكية والطبيعية، وصرف بصائر الناس إلى التفكير في خلق السماوات والأرض، وما هن عليه من الإبداع، فوجه أبصارهم إلى التأمل في خلق الإنسان، وما عليه من التركيب العجيب، إلى غير ذلك من الأمور الفلكية والطبيعية في أكثر

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٥/٥٩).



من ثلاثمائة آية.

فالمفسرون رحمهم الله لما فسروا هذه الآيات: شرحوا معانيها على مقدار محيط علمهم بالعلوم الفلكية والطبيعية، ولا يخفى ما كانت عليه هذه الآلات في زمنهم من النقصان، لاسيما علم الفلك. فهم معذورون إذا لم يفهموا معاني هذه الآيات التي تحيّر عقول فلاسفة هذا العصر، المتضلعين بالعلوم العقلية. لذلك لم يفسروا هذه الآيات حق تفسيرها، بل أولوها وصرفوا معانيها عن الحقيقة إلى المجاز أو الكناية. انتهى كلامه^(١).

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) (٨ / ٢٥٧، ٢٥٨)

المبحث الثالث: تنزيل هدايات الآيات في مسائل المعاملات

الجهاد:

لقد حث الله تعالى على الجهاد في سبيله وأن تركه سبب الهزيمة يقول القرطبي رحمه الله: عند قول الله تعالى { كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } [سورة البقرة: ٢١٦]. قال " وقال أبو عبيدة: "عسى" من الله إيجاب، والمعنى عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون، ومن مات مات شهيدا، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم في أنكم تغلبون وتذلون ويذهب أمركم. قلت: وهذا صحيح لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأي بلاد؟! وأسر وقتل وسبي واسترق، فإننا لله وإنا إليه راجعون! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته!"^(١)

وأمر الله بفك الأسير كما جاء في حديث عن أبي موسى الأشعري: (فكوا العاني وأجيبوا الداعي) (٢)، ويحكي لنا الامام ابن العربي في تفسيره حين نزل بهم العدو عند قول الله تعالى { أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [سورة التوبة: ٤١]. فقال " ولقد نزل بنا العدو قصمه الله سنة سبع وعشرين وخمسمائة؛ فحاس ديارنا، وأسر جيرتنا، وتوسط بلادنا في عدد هال الناس عدده، وكان كثيرا، وإن لم يبلغ ما حددوه، فقلت للوالي والمولى عليه: هذا عدو الله، وقد حصل في الشرك والشبكة، فلتكن عندكم بركة، ولتظهر منكم إلى نصره دين الله المتعينة عليكم حركة، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع هذه الأقطار فيحاط به فإنه هالك لا محالة إن يسركم الله له؛ فغلبت الذنوب، ووجفت القلوب بالمعاصي، وصار كل أحد من الناس ثعلبا يأوي إلى وجاره، وإن رأى المكروه بجاره؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولقد روي أن بعض الأمراء عاهد كفارا ألا يجبسوا أسيرا، فدخل رجل من جهته بلادهم، فمر على بيت مغلق، فنادته امرأة: إني أسيرة، فأبلغ صاحبك خبري.

فلما اجتمع به، استطعمه عنده، وتجادبا ذيل الحديث انتهى الخبر إلى هذه المعذبة، فألقاه إليه، فما أكمل حديثه حتى قام الأمير على قدمه، وخرج غازيا من فوره، ومشى إلى البلد حتى أخرج الأسيرة، واستولى على الموضع، فكيف بنا وعندنا عهد الله ألا نسلم إخواننا إلى الأعداء، وننعم وهم في الشقاء، أو نملك بالحرية وهم أرقاء.

ياالله، ولهذا الخطب الجسيم، نسأل الله التوفيق للجمهور، والمنة بصلاح الأمر والمأمور"^(٣)

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/ ٣٩)

(٢) صحيح البخاري ٢٤/٧ ح (٥١٧٤) و ٧٠/٩ ح (٧١٧٣)

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٢/ ٥١٧، ٥١٨)

وفي كل زمان منافقون ينفرون الناس عن الدفاع عن دينهم ويفرون وقت لقاء العدو فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند قول الله تعالى {وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا} [سورة الأحزاب: ١٣] فيقول "وكان النبي قد عسكر بالمسلمين عند سلع وجعل الخندق بينه وبين العدو فقالت طائفة منهم لا مقام لكم هنا لكثرة العدو فارجعوا الى المدينة وقيل لا مقام لكم على دين محمد فأرجعوا إلى دين الشرك وقيل لا مقام لكم على القتال فارجعوا إلى الاستئمان والاستحارة بهم، وهكذا لما قدم هذا العدو كان من المنافقين من قال ما بقيت الدولة الاسلامية تقوم فينبغي الدخول في دولة التتار وقال بعض الخاصة ما بقيت ارض الشام تسكن بل ننتقل عنها إما إلى الحجاز واليمن وإما إلى مصر وقال بعضهم بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء كما قد استسلم لهم اهل العراق والدخول تحت حكمهم" (١)

والله ناصر دينه ولو كره الكافرون يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته:

والله ناصر دينه وكتابه
ورسوله في سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حربه
ذا حكمة مذ كانت الفتان
وقد اقتصرت على يسير
من كثير فأت للعد والحسبان (٢)

ويوصي الامام القرطبي بالثبات حين لقاء العدو فإن ذلك من أسباب النصر فقال عند قول الله تعالى: {وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ} "وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} {سورة الأنفال: ٤٥} فهذه أسباب النصر وشروطه وهي معدومة عندنا غير موجودة فينا، فإننا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا! بل لم يبق من الإسلام إلا ذكره، ولا من الدين إلا رسمه لظهور الفساد وكثرة الطغيان وقلة الرشاد حتى استولى العدو شرقا وغربا برا وبحرا، وعمت الفتن وعظمت المحن ولا عاصم إلا من رحم!" (٣).

الزواج من الكتابية

وسئل الشيخ ابن باز عن الزواج بالكتابية فقال: "المسألة فيها تفصيل، إذا كانت وثنية مثل مجوسية وشيوعية ومثل وثنية تعبد القبور فمثل هذه الحالة، الزواج منها باطل، المسلم ما يحل له أن يتزوج مشركة، يقول الله سبحانه: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَتْ} [سورة البقرة: ٢٢١]، يقول سبحانه عن المشركات: {لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ} [سورة الممتحنة: ١٠]، ويقول: {وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ} [سورة الممتحنة: ١٠]، فالنكاح

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٨ / ٤٥٠)

(٢) الكافية الشافية - عالم الفوائد (ص: ٤٨٤)

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣ / ٢٥٥)

باطل، إذا كانت الزوجة مشركة وثنية مثل عباد القبور، عباد النار ومثل الشيوعيين ملاحدة وأشباههم، هؤلاء لا تحل المرأة للمسلم لكن إن وجد امرأة يهودية والنصرانية من أهل الكتاب هذا النكاح صحيح إذا كانت محصنة معروفة بعدم الزنى غير مسافحة بل يهودية أو نصرانية لكنها معروفة بالحصانة وعدم مسها للزنى فلا بأس؛ لأن الله أباح المحصنات من أهل الكتاب، فإذا تزوج محصنة من أهل الكتاب فلا بأس بذلك، فإذا كانت حالها لا تعجبه؛ لأنها أكثر للطمأنينة أو تشكك في دينه أو ما أشبه ذلك فينبغي تركها، وبكل حال التزوج من الكتابية، الأولى تركه بكل حال؛ لأنها قد تجره إلى دينها، قد تجر أولادها إلى دينها وأولادها قد تربيتهم على الشر والكفر، فينبغي ألا يتزوجها وفي المسلمات غنية وكفاية، الحمد لله، وهذا هو الأولى للمؤمن ألا يتزوج من اليهود والنصارى ولا سيما في هذا العصر، فإن اليهوديات والنصرانيات لهن نشاط في الدعوة إلى دينهم الباطل، ولهن نشاط أيضاً في الأخلاق المنحرفة، والدعوة إلى الفواحش والمنكرات إلا من شاء الله، فينبغي التحذير من ذلك، وينبغي أن يختار للزواج المرأة الصالحة الطيبة، من المسلمين (١).

بناء الاهرامات والمخازن

القول في تأويل قوله تعالى :

{قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ} [سورة يوسف: ٥٥]. {قَالَ} أي يوسف للملك {أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ} أي ولني خزائن أرضك. يعني جميع الغلات لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، فيتصرف لهم على الوجه الأرشد والأصلح، ثم بين اقتداره في ذلك فقال: {إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ} [سورة يوسف: ٥٥] أي: أمين أحفظ ما تستحفظنيه، عالم بوجوه التصرف فيه.

قال الزمخشري: وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هم طلبة الملوك ممن يولونه. وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى، وإقامة الحق، وبسط العدل. والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية ابتغاء وجه الله، لا لحب الملك والدنيا.

فإن قلت: كيف جاز أن يتولى عملاً من يد كافر، ويكون تبعاً له، وتحت أمره وطاعته؟ . قلت: روى مجاهد أنه كان قد أسلم، وعن قتادة: هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر. وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه. وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق، فله أن يستظهر به.

وقيل: كان الملك يصدر عن رأيه، ولا يعترض عليه في كل ما رأى، فكان في حكم التابع له والمطيع. انتهى.
وهذه الآية أصل في طلب الولاية كالتقضاء ونحوه، لمن وثق من نفسه بالقيام بحقوقه، وجواز التولية عن الكافر والظالم. وأصل في جواز مدح الإنسان نفسه لمصلحته، وفي أن المتولي أمراً شرطه: أن يكون عالماً به، خبيراً، ذكي الفطنة. كذا في "الإكليل".

قال أبو السعود: وإنما لم يذكر إجابة الملك إلى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الأرض، إيداناً بأن ذلك أمر لا مرد له، غني عن التصريح، ولا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته من أحكام السلطنة بخذافيرها، من قوله: {إِنَّكَ أَيُّومَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ} [سورة يوسف: ٥٤]، وللتنبية على أن كل ذلك من الله عز وجل، وإنما الملك آلة في ذلك.

تنبيه:

قال ابن كثير: خزائن الأرض هي الأهرام التي يجمع فيها الغلات . . . الخ .
ولم أر الآن مستنده في كون الأهرام كانت مجمع الغلات، ولم أفهم عليه في كلام غيره.
و (الأهرام) بفتح الهمزة جمع هرم بفتحتين، وهي مبان مربعة الدوائر، مخروطية الشكل، بقي منها الآن ثلاثة في الجيزة، بعيدة أميالاً عن القاهرة، معدودة من غرائب الدنيا، دعيت لرؤياها أيام رحلتي للديار المصرية عام ١٣٢١ هـ. وقد استقر رأي المتأخرين في تحقيق شأنها على أنها كانت مدافن ملوكهم.
ففي كتاب "الأثر الجليل لقدماء وادي النيل": جميع الأهرام ليست إلا مقابر ملوكية آثر أصحابها أن يتميزوا بما بعد موتهم عن سائر الناس، كما تميزوا عنهم مدة حياتهم، وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور، وتراخي العصور، وقد أجمع مؤرخو هذا العصر على أن الهرم الأكبر قبر للملك (خوفو) والثاني (خفرع) والثالث للملك (منقرع) وجميعهم من العائلة المنفيسية. ولا عبرة بقول من زعم أنها معابد أو مراصد للكواكب، أو مدرسة للمعارف الكهنوتية، أو غير ذلك. انتهى^(١).

التوقيت

عند تفسير الدوسري لقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ} [سورة البقرة: ١٨٩] ذكر من فوائدها: "أن ميقات الأمم كلها الميقات الذي وَضَعَهُ اللهُ لهم - وهو الأهلة - فهو الميقات العالمي لقوله تعالى: {مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ} وأما ما حَدَثَ أخيراً من التوقيت بالأشهر الإفرنجية فلا أصل له من محسوس، ولا معقول، ولا مشروع، ولهذا تجد بعض الشهور ثمانية وعشرين يوماً، وبعضها ثلاثين يوماً، وبعضها واحداً وثلاثين يوماً من غير أن يكون سبب معلوم أوجب هذا الفرق ثم إنه ليس لهذه الأشهر علامة حسية يرجع

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) (٦/ ١٩٧)



الناس إليها في تحديد أوقاتهم - بخلاف الأشهر الهلالية فإن لها علامة حسية يعرفها كلُّ أحد" (١) .

التيسير في هذا العصر

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حين بلغ القارئ "وتحوز إجارة الظئر للرضاع والراعي لرعاية الغنم للآيتين: قوله (الآيتين) هما قوله تعالى {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ} [سورة القصص: ٢٦]. هذا في راعي الغنم، وقوله تعالى {فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} [سورة الطلاق: ٦] هذا في الظئر، أي: المرضعة، والمعنى أنه يجوز أن نستأجر امرأة ترضع هذا الطفل لأن الله نص على الجواز فقال الله تبارك وتعالى: {وَلِنْ تَعَاَسَرْتُ فَسَتَرْضِعُ لَهُ أُخْرَى} [سورة الطلاق: ٦]. وسبحان الله إن تعاسر الزوج والزوجة في إرضاع الطفل فإن الله تعالى سوف يجعل له من يرضعه من غير أمه ولهذا أكد هذا الحكم فقال (فسترضع له أخرى) وفي هذا بشارة لمن عنده طفل وتعاسر مع أمه أن الله سيجعل له فرجاً وسترضع له امرأة أخرى وفي عصرنا الحاضر والحمد لله هناك فرج آخر وهو الحليب الصناعي" (٢) .

المعاملات - الهبة

يقول ابن حزم "ولقد وقعت هذه المسألة في زماننا في محجورة أرادت نحلة ابنتها بمال لا تنكح إلا به، فقال بعضهم: لا يجوز فعل المحجور، وقلنا نحن: يجوز؛ لأن إيناس الرشد إنما يكون بمثل هذا؛ ومن نظر لولده واهتبل به فهو في غاية السداد والرشد له ولنفسه، فوفق الله متولي الحكم يومئذ وأمضى النحلة على ما أفتيناه" (٣) .

الضرائب

وأما في زماننا هذا وبلادنا هذه [الأندلس] ... فإنما هي جزية على رؤوس المسلمين يسمونها بالقطيع، ويؤدونها مشاهرة، ضريبة على أموالهم من الغنم والبقر والدواب والنحل ... وعلى إباحة بيع الخمر من المسلمين في بعض البلاد؛ هذا كل ما يقبضه المتغلبون اليوم، وهذا هو هتك الأستار ونقض شرائع الإسلام" (٤) .

فك الأسير.

{أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ حَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾} [سورة التوبة: ٤١].

ولقد نزل بنا العدو قصفه الله سنة سبع وعشرين وخمسمائة؛ فجاس ديارنا، وأسر جيراننا، وتوسط بلادنا في

(١) تفسير سورة البقرة (٢ / ٣٧١).

(٢) تعليقات ابن عثيمين على الكافي لابن قدامة (٥ / ١٩٣، بتقييم الشاملة آليا)

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (١ / ٤٢٢).

(٤) رسائل ابن حزم (٣ / ١)

عدد هال الناس عدده، وكان كثيرا، وإن لم يبلغ ما حدوده، فقلت للوالي والمولى عليه: هذا عدو الله، وقد حصل في الشرك والشبكة، فلتكن عندكم بركة، ولتظهر منكم إلى نصرة دين الله المتعينة عليكم حركة، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع هذه الأقطار فيحاط به فإنه هالك لا محالة إن يسركم الله له؛ فغلبت الذنوب، ووجفت القلوب بالمعاصي، وصار كل أحد من الناس ثعلبا يأوي إلى وجاره، وإن رأى المكروه بجاره؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولقد روي أن بعض الأمراء عاهد كفارا ألا يجسوا أسيرا، فدخل رجل من جهته بلادهم، فمر على بيت مغلق، فنادته امرأة: إني أسيرة، فأبلغ صاحبك خبري.

فلما اجتمع به، استطعمه عنده، وتجادبا ذيل الحديث انتهى الخبر إلى هذه المعذبة، فألقاه إليه، فما أكمل حديثه حتى قام الأمير على قدمه، وخرج غازيا من فوره، ومشى إلى البلد حتى أخرج الأسيرة، واستولى على الموضع، فكيف بنا وعندنا عهد الله ألا نسلم إخواننا إلى الأعداء، وننعم وهم في الشقاء، أو نملك بالحرية وهم أرقاء.

ياالله، ولهذا الخطب الجسيم، نسأل الله التوفيق للجمهور، والمنة بصلاح الأمر والمأمور^(١).

المعاملات - الإصلاح الأسري

{وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا} [سورة النساء: ٣٥] وفيها خمس عشرة مسألة: وهي من الآيات الأصول في الشريعة، ولم نجد لها في بلادنا أثرا؛ بل ليتهم يرسلون إلى الأمينة، فلا بكتاب الله تعالى ائتمروا، ولا بالأقيسة اجتروا، وقد ندبت إلى ذلك فما أجابني إلى بعث الحكمين عند الشقاق إلا قاض واحد، ولا إلى القضاء باليمين مع الشاهد إلا قاض آخر، فلما ولاني الله الأمر أجريت السنة كما ينبغي، وأرسلت الحكمين، وقمت في مسائل الشريعة كما علمني الله سبحانه من الحكمة والأدب لأهل بلدنا لما غمرهم من الجهالة^(٢).

المعاملات اللباس

قال ابن العربي "ولقد دخلت نيفا على ألف قرية من برية، فما رأيت [نساء] أصون عيالا، ولا أعف نساء من نساء نابلس التي رمي فيها الخليل - عليه السلام - بالنار، فإني أقمت فيها أشهراً، فما رأيت امرأة في طريق، نهاراً، إلا يوم الجمعة، فإنهن يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهن، فإذا قضيت الصلاة، وانقلبن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهم إلى الجمعة الأخرى. وسائر القرى ترى نساءها متبرجات بزينة وعطلة، متفرقات في كل فتنة وعضلة.

(١) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٢/ ٥١٧)

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (١/ ٥٣٧)

وقد رأيت بالمسجد الأقصى عفاف ما خرجن من معتكفن حتى استشهدن فيه" (١) .

المعاملات - الكتاب والميزان في الحُكم

أعلم أن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأكمل لأمته الدين وأتم عليهم النعمة وجعله على شريعة من الأمر وأمره أن يتبعها ولا يتبع سبيل الذين لا يعلمون وجعل كتابه مهيمنا على ما بين يديه من الكتب ومصداقا لها وجعل له شرعة ومنهاجا وشرع لأمته سنن الهدى ولن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد كتاب يهدى به وحديد ينصره كما قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) فالكتاب به يقوم العلم والدين والميزان به تقوم الحقوق في العقود المالية والقبوض والحديد به تقوم الحدود على الكافرين والمنافقين

ولهذا كان في الأزمان المتأخرة الكتاب للعلماء والعباد والميزان للوزراء والكتاب وأهل الديوان والحديد للأمرء والأجناد والكتاب له الصلاة والحديد له الجهاد ولهذا كان أكثر الآيات والأحاديث النبوية في الصلاة والجهاد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في عيادة المريض (اللهم اشف عبدك يشهد لك صلاة وينكأ لك عدوا وقال عليه السلام رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله" (٢)

الأموال العامة وصرفها

"الحادية عشرة وهي حصر صرف المال في صالح المسلمين، الذي من أعظمه سدانة الإسلام والدفع به إلى الأمام، فيصرف فيما يقتضيه هذا السبيل من نشر الدعوة بإمداد الدعاة، والصرف للمؤلفة قلوبهم، والاستعداد بجميع المستطاع من أنواع القوة حسب مقتضيات العصر مهما تطورت الصنعة من وسائل القوة الحربية، ووسائل النقل البرية والبحرية والجوية، وتمهيد الطرق بما يصلح لنقلات العصر، وطبع ما تحتاجه الدعوة، والقيام بجمع من يقف دونه" (٣) .

(١) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٣/ ٥٦٩)

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٦)

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم (١/ ٣٣٢)

أسباب انهزام المسلمين:

حذر العلماء من أسباب انهزام المسلمين وذكروا لهم أسباب القوة يقول الشيخ الدوسري رحمه الله: "وقد قدمت فيما مضى أن هذه الآية كما تحفز أصحابها الصادقين إلى القوة المعنوية، فإنها تحفزهم إلى القوة المادية من تسخير جميع ما وهب الله لهم على وجه الأرض، أو في جوفها أو أجوائها من كل مادة؛ للاستعداد بجميع متطلبات القوة، بحيث يكونون أغنى من غيرهم"^(١).

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: "وما أصيب المسلمون إلا بسبب عدم تمسكهم بدينهم كما يجب، وعدم فهم الأكثرين لحقيقته، وما ذلك إلا لإعراضهم عنه وعدم تفقههم فيه، وتقصير الكثير من العلماء في شرح مزاياه، وإبراز محاسنه وحكمه وأسراره والصدق والصبر في الدعوة إليه، وتحمل الأذى في ذلك بالأساليب والطرق المتبعة في هذا العصر، ومن أجل ذلك حصل ما حصل اليوم من الفرقة والاختلاف، وجهل الأكثر بأحكام الإسلام، والتباس الأمور عليهم"^(٢).

ويقول الشيخ الدوسري رحمه الله "وها نحن نرى ورثتهم من قومنا تتوالى عليهم المحن والفتن في عقر دارهم، ممن يسمى إسرائيل وهم في طغيانهم يعمهون، لم يكفروا بالجبث والطاغوت في الناحية التربوية فيرفضوا المناهج التعليمية الماسونية، من غربية وشرقية، ويعودوا إلى تربية محمد صلى الله عليه وسلم، ويتركوا التربية المادية المائعة السائرة على تقليد أعدائها في كل ميدان، ولم يكفروا بالجبث والطاغوت في النواحي السياسية، فيرسموا خطة إسلامية صحيحة سليمة، تربطهم بجميع المسلمين، الذين يشكلون أعظم عدد وأضحمه بين الأمم ويكونوا يدا واحدة على أعدائهم"^(٣).

ويقول (ألا ترى أنه بتجميد المسلمين لرسالتهم شغل أعداؤهم الفراغ الذي أحدثوه، فجنّدوا عشرات الآلاف من المبشرين ومثلهم من الملاحدة لنشر المسيحية الكاذبة والإلحاد، ففتنوا أولاد المسلمين وأشغلوهم بالملذات والأباطيل حتى جعلوهم كالأنعام، وما الذنب إلا ذنب المسلمين الجامدين القاعدين عن رسالتهم، الوثائقين بأعدائهم حيث يتسابقون إلى إدخال أولادهم المدارس التي يدرس بها خريجو مدارس فرنسيس وأفراخ الإفرنج، فهل فاقد الشيء يعطيه؟! وهل يرجون من شجر الحنظل رمانا أو برتقالا؟! أم أنهم لما نسوا الله أنساهم أنفسهم؟ فعلى عباد الله الانتباه للواقع السيء من جديد؛ ليصححوا دينهم ويحققوا عبوديتهم لله"^(٤).

وفي زمن الامام ابن حزم يعبر عن هزيمة المسلمين وأنهم صاروا يدفعون الجزية للكفار فيقول: "وأما في زماننا هذا وبلادنا هذه [الأندلس] ... فإنما هي جزية على رؤوس المسلمين يسمونها بالقطيع، ويؤدونها

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ١ / ١٧٤، ١٧٥

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١ / ٣٨٨)

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم ١ / ٢٨٩

(٤) صفوة الآثار والمفاهيم ١ / ٦٠ ، ٦١

مشاهرة، ضريبة على أموالهم من الغنم والبقر والدواب والنحل ... وعلى إباحة بيع الخمر من المسلمين في بعض البلاد؛ هذا كل ما يقبضه المتغلبون اليوم، وهذا هو هتك الأستار ونقض شرائع الإسلام" (١) .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند قول الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [سورة الأحزاب: ١٣] حال المنهزمين من المنافقين فيقول "وكان النبي قد عسكر بالمسلمين عند سلع وجعل الخندق بينه وبين العدو فقالت طائفة منهم لا مقام لكم هنا لكثرة العدو فارجعوا الى المدينة وقيل لا مقام لكم على دين محمد فأرجعوا إلى دين الشرك وقيل لا مقام لكم على القتال فارجعوا إلى الاستئمان والاستجارة بهم

وهكذا لما قدم هذا العدو كان من المنافقين من قال ما بقيت الدولة الاسلامية تقوم فينبغي الدخول في دولة التتار وقال بعض الخاصة ما بقيت ارض الشام تسكن بل ننتقل عنها اما إلى الحجاز واليمن وآمالى مصر وقال بعضهم بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء كما قد استسلم لهم اهل العراق والدخول تحت حكمهم" (٢) .

يقول الشيخ ابن عثيمين عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [سورة البقرة: ٦١] ذكر من فوائدها: "أن بني إسرائيل لا يقومون للمسلمين لو حاربوهم من قبل الإسلام لأن ضرب الذلة بسبب المعصية فإذا حاربوا بالطاعة والإسلام فلا شك أنه سيكون الوبال عليهم وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [سورة الحشر: ١٤] وما يشاهد اليوم من مقاتلة اليهود للعرب فإنما ذلك لسببين:

الأول: قلة الإخلاص لله تعالى فإن كثيرا من الذين يقاتلون اليهود - أو أكثرهم - لا يقاتلونهم باسم الإسلام، وأن تكون كلمة الله هي العليا وإنما يقاتلونهم باسم العروبة فهو قتال عصبي قبلي ولذلك لم يفلح العرب في مواجهة اليهود.

والسبب الثاني: كثرة المعاصي من كبيرة وصغيرة، حتى إن بعضها ليؤدي إلى الكفر وقد حصل للمسلمين في أحد، ما حصل بمعصية، واحدة، مع ما انضم إليها من التنازع والفشل كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فِشَلْتُمْ وَتَوَلَّيْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا نَحْبُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٢] (٣) .

وذكر الامام القرطبي رحمه الله عند قول اله تعالى ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤١] خمسة أمور فقال:

(١) رسائل ابن حزم (٣ / ١)

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٨ / ٤٥٠)

(٣) تفسير سورة البقرة (١ / ٢١٩). وانظر أيضا: (١ / ٥٢) و (٢ / ٢٣١).

"الأول يتوهم من توهم أن آخر الكلام يرجع إلى أوله، وذلك يسقط فائدته، إذ يكون تكراراً.
الثاني- إن الله لا يجعل لهم سبيلاً يمحوا به دولة المؤمنين، ويذهب آثارهم ويستبيح بيضتهم، كما جاء في صحيح مسلم من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وإني سألت ربي ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني قد أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضاً

الثالث- إن الله سبحانه لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً إلا أن يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر ويتقاعدوا عن التوبة فيكون تسليط العدو من قبلهم، كما قال تعالى {وَمَا أَصْبَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [سورة الشورى: ٣٠]. قال ابن العربي: وهذا نفيس جدا. قلت: ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث ثوبان (حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضاً) وذلك أن (حتى) غاية، فيقتضي ظاهر الكلام أنه لا يسلط عليهم عدوهم فيستبيحهم إلا إذا كان منهم إهلاك بعضهم لبعض، وسيبي بعضهم لبعض، وقد وجد ذلك في هذه الأزمان بالفتن الواقعة بين المسلمين، فغلظت شوكة الكافرين واستولوا على بلاد المسلمين حتى لم يبق من الإسلام إلا أقله، فنسأل الله أن يتداركنا بعفوه ونصره ولطفه.

الرابع- إن الله سبحانه لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً شرعاً، فإن وجد فيخلاف الشرع.

الخامس- {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} أي حجة عقلية ولا شرعية يستظهرون بها إلا أبطلها ودحضت" (١).

"فجميع ما أصاب المسلمين من النكبات في بلادهم وأموالهم وأولادهم وحكامهم سببه طاعة أهل الكتاب، الذي سببه ضعف العقيدة كفاية ما عندها والتي تجر معها الشكوك في ، والجالبة للهزيمة النفسية أولاً ، من هداية الله، حتى تستحسن مناهج أعدائها لتكون مستوردة مكان التصدير، و مقودة بدل القيادة ثانياً حتى أوقعتهم في مركب نقص وهزيمة عقلية زيادة على الهزيمة النفسية" (٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٥/ ٤٢٠)

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم ٤/ ٢٤٦، ٢٤٧

المبحث الرابع: تنزيل هدايات الآيات في مسائل الآداب:

إن الإسلام دين يقوم على الخلق العظيم والأدب الكريم، ويجعل ذلك من صميم رسالته، بل هو قوامها وعنوانها وثمرتها، وكل العبادات في الإسلام تلتقي عند هذه الغاية فقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم مهمة رسالته في قوله الكريم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" رواه مالك.

وكان صلى الله عليه وسلم ولا يزال، المثل الأعلى في ذلك، وحسبه قول ربه له: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [سورة القلم: ٤] كما رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كمال الإيمان على حسن الخلق وتمام الأدب فقال: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) (١) والآداب التي شرعها الله على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، آداب شاملة وعامة، آداب في الأكل، وآداب في الشرب، وآداب في اللباس والنوم، وآداب في معاملة الناس وآداب في كل شيء... .

الغزو في الاخلاق

وقد حذر العلماء من الغزو في الاخلاق فيقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: {يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ} [سورة النساء: ٧١]: "نأخذ الحذر من غزو هؤلاء لنا سواء كان بالسلاح، أو كان بالفكر، أو كان بالخلق، ومعلوم الآن أن أعداء المسلمين يغزون المسلمين بكل سلاح، وينظرون السلاح المناسب للأمة فيغزونها به، إذا كان المناسب للأمة أن يغزوها بالسلاح فعلوا وقتلوا وهاجموا، وإذا كان غير ممكن، نظروا هل يغزوننا بالأفكار المنحرفة الإلحادية، إن أمكن ذلك فعلوا، وإذا لم يمكن بأن كانت الأمة على جانب كبير، من الوعي والتوحيد والارتباط بالله؟ قالوا: إذا غزوا بطريق، ثالث، وهو الخلق، فسلبوا عليها كل ما يفسد أخلاقها من المجالات والإذاعات وغير ذلك، ولهذا الآن انظر ماذا فعلوا بالناس بواسطة المحطات الأفقية التي تلتقط عن طريق الدشوش، ولا شك كما سمعنا أن فيها شرًا عظيمًا، وهم يجعلون فيها أشياء مفيدة لأنهم يعلمون أنها لو كانت مفسدة مائة في المائة ما قبلها الناس إلا من أزاع الله قلبه والعياد بالله -، لكن يجعلون فيها أشياء مفيدة من أجل أن يضعوا الحب للصيد، فهذا غزو خلقي، وثمما يكون فيه غزو فكري، وأنا أسمع أحياناً إذاعة صافية من أحسن ما يكون من إذاعات العالم وتبث التنصير الدعوة إلى النصرانية".

الآداب بدع الأوراد والأذكار

يوجد أناس أحدثوا أذكارا يذكرون الله فيها على هيئات معينة، وقالوا: إن قلوبنا ترتاح إلى هذا الشيء، فهل نقول: هذا بدعة حسنة أو لا؟
الجواب: لا، لأنهم أحدثوا في دين الله ما ليس منه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعبد الله عز وجل على هذا الوجه، وعلى هذا فقس.

إذاً الواجب علينا أن نقول: سمعنا وآمنا وصدقنا بان كل بدعة ضلالة، وأنه لا حسن في البدع تصديقاً

(١) سنن أبي داود ٤/٢٢٠ ح (٤٦٨٢)، وسنن الترمذي ت بشار ٢/٤٥٧ ح (١١٦٢) و ٤/٣٠٥ ح (٢٦١٢)

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونقول: ما ادعى صاحبه أنه بدعة حسنة فهو إما أن لا يكون حسناً وظنه حسناً، وإما أن لا يكون بدعة، أما أن يكون بدعة وحسناً فهذا لا يمكن، ويجب علينا أن نؤمن بهذا عقيدة" (١) .

قضية اللباس

ومن أبرز الآداب التي نبه عليها المفسرون قضية اللباس فهذا الامام ابن العربي يثني على نساء نابلس في لباسهن وسترنه فيقول " ولقد دخلت نيفا على ألف قرية من برية، فما رأيت [نساء] أصون عيالا، ولا أعف نساء من نساء نابلس التي رمي فيها الخليل - عليه السلام - بالنار، فإني أقمت فيها أشهراً، فما رأيت امرأة في طريق، نهاراً، إلا يوم الجمعة، فإنهن يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهن، فإذا قضيت الصلاة، وانقلبن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهم إلى الجمعة الأخرى. وسائر القرى ترى نساؤها متبرجات بزينة وعظلة، متفرقات في كل فتنة وعظلة. وقد رأيت بالمسجد الأقصى عفاف ما خرجن من معتكفهن حتى استشهدن فيه" (٢) .

وهذا الامام القرطبي رحمه الله عند قوله تعالى: {فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} [سورة النور: ٦٠] يقول " إنما خص القواعد بذلك لانصراف الأنفس عنهن، إذ لا يذهب للرجال فيهن، فأبيح لهن ما لم ييح لغيرهن، وأزيل عنهم كلفة التحفظ المتعب لهن. الرابعة - قرأ ابن مسعود وأبي وابن عباس: " أن يضعن من ثيابهن " بزيادة" من" قال ابن عباس: وهو الجلباب. وروي عن ابن مسعود أيضاً: " من جلابيبهن" والعرب تقول: امرأة واضع، للتي كبرت فوضعت خمارها. وقال قوم: الكبيرة التي أيست من النكاح، لو بدا شعرها فلا بأس، فعلى هذا يجوز لها وضع الخمار. والصحيح أنها كالشابة في التستر، إلا أن الكبيرة تضع الجلباب الذي يكون فوق الدرع والخمار، قاله ابن مسعود وابن جبير وغيرهما. الخامسة - قوله تعالى: {غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} أي: غير مظهرات ولا متعرضات بالزينة لينظر إليهن، فإن ذلك من أقبح الأشياء وأبعده عن الحق. والتبرج: التكشف والظهور للعيون، ومنه: بروج مشيدة. وبروج السماء والأسوار، أي لا حائل دونها يسترها" (٣) .

ويورد الامام القرطبي رحمه الله قول عائشة ويعلق عليه فيقول: "وقيل لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين، ما تقولين في الخضاب والصباغ والتمايم والقرطين والخلخال وخاتم الذهب ورقاق الثياب؟ فقالت: يا معشر النساء، قصتكن قصة امرأة واحدة، أحل الله لكن الزينة غير متبرجات لمن لا يحل لكن أن يروا منكن محرماً. وقال عطاء: هذا في بيوتهن، فإذا خرجت فلا يحل لها وضع الجلباب. وعلى هذا "غير متبرجات" غير خارجات

(١) شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ٢٨٦)

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٣ / ٥٦٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢ / ٣٠٩).

من بيوتهن. وعلى هذا يلزم أن يقال: إذا كانت في بيتها فلا بد لها من جلباب فوق الدرع، وهذا بعيد، إلا إذا دخل عليها أجنبي. ثم ذكر تعالى أن تحفظ الجميع منهن، واستعففهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلزم الشباب أفضل لهن وخير. وقرأ ابن مسعود: "وأن يتعففن" بغير سين. ثم قيل: من التبرج أن تلبس المرأة ثوبين رقيقين يصفانها. روى الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا قال ابن العربي وإنما جعلهن كاسيات لأن الثياب عليهن، وإنما وصفهن بأنهن عاريات لان الثوب إذا رق يصفهن، ويبيدي محاسنهن، وذلك حرام قلت هذا أحد التأويلين للعلماء في هذا المعنى والثاني - أنهن كاسيات من الثياب عاريات من لباس التقوى الذي قال الله تعالى فيه "ولباس التقوى ذلك خير"»

وأنشدوا

إذا المرء لم يلبس ثياب من التقى تقلب عريانا وإن كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك ومر عمر ابن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا: ماذا أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: (الدين). فتأويله صلى الله عليه وسلم القميص بالدين مأخوذ من قوله تعالى: "ولباس التقوى ذلك خير". العرب تكني عن الفضل والعفاف بالثياب، ... وقد قال صلى الله عليه وسلم لعثمان: (إن الله سيلبسك قميصا فإن أرادوك أن تخلعه فلا تخلعه). فعبء عن الخلافة بالقميص، وهي استعارة حسنة معروفة. قلت: هذا التأويل أصح التأويلين، وهو اللائق بهن في هذه الأزمان، وخاصة الشباب، فإنهن يتزين ويخرجن متبرجات، فهن كاسيات بالثياب عاريات من التقوى حقيقة، ظاهرا وباطنا، حيث تبدي زينتها، ولا تبالي بمن ينظر إليها، بل ذلك مقصودهن، وذلك مشاهد في الوجود منهن، فلو كان عندهن شيء من التقوى لما فعلن ذلك، ولم يعلم أحد ما هنالك. ومما يقوي هذا التأويل ما ذكر من وصفهن في بقية الحديث في قوله: (رؤوسهن كأسنمة البخت)^(١). والبخت ضرب من الإبل عظام الأجسام، عظام الأسنمة، شبه رؤوسهن بها لما رفعن من ضفائر شعورهن على أوساط رؤوسهن. وهذا مشاهد معلوم، والناظر إليهن ملوم. قال صلى الله عليه وسلم: (ما تركت بعدي فتنة أضرب على الرجال من النساء)^(٢). خرجه

(١) صحيح ابن حبان - محققا ٦٤/١٣ ح (٥٧٥٣)، والمعجم الكبير للطبراني ج ١٣، ١٤ ١٤/١١٨ ح (١٤٧٣٩)،

والمخلصيات ٥٤/٢ ح (١٠١٥)

(٢) صحيح البخاري ٨/٧ ح (٥٠٩٦)

البخاري" (١) .

يقول الالوسي رحمه الله فيما يتعلق في اللباس: " ثم اعلم أن عندي مما يلحق بالزينة المنهي عن إبدائها ما يلبسه أكثر مترفات النساء في زماننا فوق ثيابهن ويتسترن به إذا خرجن من بيوتهن وهو غطاء منسوج من حرير ذي عدة ألوان وفيه من النقوش الذهبية أو الفضية ما يبهر العيون، وأرى أن تمكين أزواجهن ونحوهم لهن من الخروج بذلك ومشيهن به بين الأجانب من قلة الغيرة وقد عمت البلوى بذلك، ومثله ما عمت به البلوى أيضاً من عدم احتجاب أكثر النساء من إخوان بعولتهن وعدم مبالاة بعولتهن بذلك وكثيراً ما يأمرؤهن به. وقد تحتجب المرأة منهم بعد الدخول أيما إلى أن يعطوها شيئاً من الحلي ونحوه فتبدو لهم ولا تحتجب منهم بعد وكل ذلك ما لم يأذن به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وأمثال ذلك كثير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" (٢).

ومن ذلك ما ذكره الشيخ ابن باز رحمه الله عند قوله تعالى: { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُبْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [سورة النور: ٣١] .

قال رحمه الله: "ففي هذه الآيات الكريمات وما جاء في معناها الأمر بالحجاب وغطس النظر وإخفاء الزينة سدا لباب الفتنة وتحذيراً مما لا تحمد عقباه، فكيف يمكن تنفيذ هذه الأوامر مع وجود المرأة بين الرجال في المكاتب والمعارض وميادين الأعمال" (٣) .

وقد وجه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله النساء الى الحجاب فيقول: "ولكن ينبغي أن تؤتى البيوت من أبوابها ينبغي أن تتصل بنساء مثلها في الغيرة والحرص على الحجاب الشرعي حتى يخرجن متحجبات حجاباً شرعياً ومن المعلوم أنه إذا حصلت الكثرة فإن الكثرة كما يقولون تغلب الشجاعة وإذا حصلت كثرة بين النساء في لزوم الحجاب الشرعي فإن ذلك يهون ويسهل كما أن على أهل القرية من الوعاظ والدعاة إلى الله عز وجل وخطباء المساجد أن يبينوا للناس الحق في هذا الأمر وأن لا يخضعوا للعادات التي تخالف الشرع ومن المعلوم أن بعض أهل العلم السابقين يرون جواز كشف المرأة وجهها وكفيها ولكن هذا القول ضعيف ثم إن العمل به في هذه الأزمان يؤدي إلى ما هو أعظم من توسع النساء في هذا اللباس كما هو في الواقع فإن البلاد الإسلامية

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢/ ٣١٠، ٣١١)

(٢) تفسير الألوسي = روح المعاني (٩/ ٣٤٠، ٣٤١)

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٨٦)

التي أفتى علماؤها بجواز كشف الوجه واليدين أصبح النساء فيها لا يكشفن الوجه واليدين فحسب بل يكشفن الوجه والرأس والرقبة واليدين والذراعين والقدمين وتوسع النساء في هذا فالذي ينبغي للإنسان العالم أن يكون حكيماً فيما يصدر عنه من الأحكام الشرعية وأن يتلافى كل ما فيه الخطر وخلاصة ما أقول أن تعزم هذه الأخت على الحجاب الشرعي وأن تدعو من يسر الله لها من النساء فإذا خرجن إلى السوق على هذا الوجه فإن ذلك سيكون له أثر كبير مع ما ينضم إليه ذلك من كلام الدعاة والوعاظ والخطباء" (١).

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله "عليها أن تنصح وتقول لأختها في الله، الواجب عليك كذا وعدم الاختلاط، الواجب عليك عدم السفور، والتحجب عن الرجال الذين ليسوا محارم، قال الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} [سورة الأحزاب: ٥٣] وقال الله تعالى: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ بِحُجْرَتِنَ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ} [سورة النور: ٣١] الآية، وهكذا تخاطبهم بالآيات والنصوص، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلْبَابِهِنَّ} [سورة الأحزاب: ٥٩] يا أختي في الله الأمر عظيم، فإن السفور يترتب عليه كذا وكذا، والاختلاط بالرجال يترتب عليه كذا وكذا، فالواجب علينا جميعاً أن نحذر ما حرم الله، وأن نتعاون على البر والتقوى، وأن نتواصى بالحق وتتنصح، وهكذا تكون العبارات حسنة" (٢).

وقد ذكر القرطبي رحمه الله عند قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون) غض البصر فقال: "قلت: أما دخول الحمام في هذه الأزمان فحرام على أهل الفضل والدين، لغلبة الجهل على الناس واستسهالهم إذا توسطوا الحمام رموا مآزرهم، حتى يرى الرجل البهي ذو الشيبة قائماً منتصباً وسط الحمام وخارجه بادياً عن عورته ضاماً بين فخذه ولا أحد يغير عليه. هذا أمر بين الرجال فكيف من النساء! لا سيما بالديار المصرية إذ حماماتهم خالية عن المظاهر التي هي عن أعين الناس سواتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!" (٣).

ويقول بعد ذكر الآيات والأحاديث "ففي هذه الأحاديث ما يدل على كراهة دخول الأسواق، لا سيما في هذه الأزمان التي يخالط فيها الرجال النسوان. وهكذا قال علماؤنا لما كثر الباطل في الأسواق وظهرت فيها المناكر: كره دخولها لأرباب الفضل والمقتدى بهم في الدين تنزيهاً لهم عن البقاع التي يعصى الله فيها. فحق على من ابتلاه الله بالسوق أن يخطر بباله أنه قد دخل محل الشيطان ومحل جنوده، وإنه إن أقام هناك هلك، ومن كانت هذه حاله اقتصر منه على قدر ضرورته، وتحرز من سوء عاقبته وبلبته" (٤).

(١) فتاوى نور على الدرب - لابن عثيمين (٣٠ /).

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٨ / ٣٢٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢ / ٢٢٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٦ / ١٣).

حرمة التشاؤم بالبنات

"إن قلت هذا بعينه موجود في الصبي ولم يمنع ذلك تخييره. قلنا: صدقتم لكن عارضه كون القلوب مجبولة على حب البنين، واختيارهم على البنات، فإذا اجتمع نقص الرغبة، ونقص الأنوثة، وكراهة البنات في الغالب - ضاعت الطفلة، وصارت إلى فساد يعسر تلافيه، والواقع شاهد بهذا، والفقهاء تنزِيل المشروع على الواقع، وسر الفرق أن البنت تحتاج من الحفظ والصيانة فوق ما يحتاج إليه الصبي؛ ولهذا شرع في حق الإناث من الستر والخفر ما لم يشرع مثله للذكور في اللباس وإرخاء الذيل شبرا أو أكثر، وجمع نفسها في الركوع والسجود دون التجاني، ولا ترفع صوتها بقراءة القرآن، ولا ترمل في الطواف، ولا تتجرد في الإحرام عن المحيط، ولا تكشف رأسها، ولا تسافر وحدها، هذا كله مع كبرها ومعرفتها، فكيف إذا كانت في سن الصغر وضعف العقل الذي يقبل فيه الانخداع؟ ولا ريب أن ترددها بين الأبوين مما يعود على المقصود بالإبطال، أو يخل به، أو ينقصه؛ لأنها لا تستقر في مكان معين، فكان الأصلح لها أن تجعل عند أحد الأبوين من غير تخيير كما قاله الجمهور: مالك، وأبو حنيفة، وأحمد، وإسحاق، فتخييرها ليس منصوبا عليه، ولا هو في معناه فيلحق به"^(١).

حفظ الاسماع واللسان

ومن الأمور التي نبه عليها العلماء حفظ الاسماع واللسان فيقول الامام الألويسي رحمه الله حيث يقول " ومن السماع المحرم سماع متصوفة زماننا وإن خلا عن رقص فإن مفاصله أكثر من أن تحصى وكثير مما يسمعون من الأشعار من أشنع ما يتلى ومع هذا يعتقدونه قرينة ويزعمون أن أكثرهم رغبة فيه أشدهم رغبة أو رهبة قاتلهم الله تعالى أنى يؤفكون"^(٢).

وقال عند تفسير قول الله تعالى: {وَلَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [سورة الإسراء: ٤٤] "وظن ابن المنير أن هذا التذليل يأبى كون الخطاب للمشركين قال: لأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يتجاوز عن جهلهم وإشراكهم، والظاهر أن المخاطب المؤمنون وعدم فقههم للتسبيح الصادر من الجمادات كناية والله تعالى أعلم عن عدم العمل بمقتضى ذلك فإن الإنسان لو تيقظ حق التيقظ إلى أن النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات الكون يقدر الله تعالى وينزهه ويشهد بحلاله وكبريائه وقهره وعمر خاطره بهذا الفهم لشغله ذلك عن الطعام فضلا عن فضول الأفعال والكلام والعاكف على الغيبة التي هي فاكهتنا في زماننا لو استشعر حال إفاضته فيها أن كل ذرة من ذرات لسانه الذي يلققه في سخط الله تعالى عليه مشغولة مملوءة بتقديس الله تعالى وتسيحته وتخويف عقابه وإنذار جبروته وتيقظ لذلك حق التيقظ لكاد ييكم بقية عمره، فالظاهر أن الآية إنما وردت خطابا على الغالب من أحوال الغافلين وإن كانوا مؤمنين اه، وليس بسديد لخروج الكلام على ذلك من النظام، ووجه التذليل ما سمعت فلا إباء كما لا يخفى على ذوي الأفهام"^(٣).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٥/ ٤٢٢).

(٢) تفسير الألويسي = روح المعاني (١١/ ٧٤).

(٣) تفسير الألويسي = روح المعاني (٨/ ٨٠).

ترك الفخر

ومن الآداب التي نزل العلماء هدايات الآيات عليها عدم الفخر فإن الفخر والتفاخر منافي للآداب الإسلامية يقول الامام الالوسي رحمه الله " ويكفي ما في الآية من التهكم والتقريع زاجرا لمن اعتاده حيث لا يباح لكثير من الناس اليوم. وفي الانتصاف قد حفظ الله تعالى عوام زماننا من هذه المشية وتورط فيها قراؤنا وفقهاؤنا بينا أحدهم قد عرف مسألتيين أو أجلس بين يديه طالبين أو نال طرفا من رياسة الدنيا إذ هو يمشي خيلاء ولا يرى أنه يطاول الجبال ولكن يرى أنه يحك بيافوخه عنان السماء كأنهم على هذه الآية لا يمرون أو يمرون عليها وهم عنها معرضون. أ.هـ.

وإذا كان هذا حال قراء زمانه وفقهائه فماذا أقول أنا في قراء زماننا وفقهائهم سوى لا أكثر الله تعالى أمثالهم ولا ابتلانا بشيء من أفعالهم وجعلها أفعى لهم كل ذلك المذكور في تضاعيف الأوامر والنواهي السابقة من الخصال المنحلة إلى نيف وعشرين كان سيئته وهو ما نهي عنه منها من الجعل مع الله سبحانه إلها آخر وعبادة غيره تعالى والتأفيف والنهر والتبذير...."^(١)

الوفاء بالعهد وعدم نكث العهد

ومن الآداب التي حث الإسلام عليها الوفاء بالعهد وعدم نكث العهد يصف شيخ الإسلام في زمنه حال أناس نكثوا العهد ولم يعملوا بمهدايات الآيات فيقول عند قول الله تعالى {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿٥٥﴾} [سورة الأحزاب: ١٥] فيقول: "وهذه حال أقوام عاهدوا ثم نكثوا قديما وحديثا في هذه الغزوة فان في العام الماضي وفي هذا العام في أول الأمر كان من أصناف الناس من عاهد على أن يقاتل ولا يفر، ثم فر منهزما لما اشتد الامر"^(٢).

التعامل مع من خالف الآداب العامة

ويبين الأمام ابن العربي رحمه الله في كيفية التعامل مع من خالف الآداب العامة حيث كان قاضيا: "وقد كنت أيام الحكم بين الناس أضرب وأحلق؛ وإنما كنت أفعل ذلك بمن يربي شعره عونا على المعصية وطريقا إلى التجمل به في الفسوق، وهذا هو الواجب في كل طريقة للمعصية أن يقطع إذا كان ذلك غير مؤثر في البدن"^(٣).

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني (٧٣ / ٨)

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٤٥٣ / ٢٨)

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٢٥ / ٣)

أثر الذنوب والمعاصي:

حذر الله عباده من الذنوب والمعاصي وأمرهم بمخالفة الشيطان فقال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) وبعده الناس عن دينهم يستولي عليهم الشيطان يقول الشيخ ابن باز رحمه الله " بسبب ذلك يستولي الشيطان على القلوب فيعدها ويمنيها ويذر فيها البذور الضارة التي تقضي على حياتها ونورها وتبعدها من كل خير وتسوقها إلى كل شر كما قال الله تعالى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [سورة الزحرف: ٣٦] ، {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ} [سورة الزحرف: ٣٧] ، وقال تعالى: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [سورة الحج: ٥٣]، وقال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ} [سورة البقرة: ٢٦٨] ، وقال تعالى: {وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [سورة الإسراء: ٦٤]"^(١) .

ومن الذنوب شرب الخمر ويعرض الالوسي رحمه الله في تفسيره حال أهل عصره فيقول "ولعمري إن اجتماع الفساق في زماننا على شرب المسكرات مما عدا الخمر ورغبتهم فيها فوق اجتماعهم في شرب الخمر ورغبتهم فيه بكثير، وقد وضعوا لها أسماء- كالعنبرية والإكسير- ونحوها ظنا منهم أن هذه الأسماء تخرجها من الحرمة وتبيح شربها للأمة- وهيئات هيئات- الأمر وراء ما يظنون، فإننا لله وإنا إليه راجعون"^(٢) .

والله حرم لحم الخنزير لأن فيه ضرر على الانسان فيقول القاسمي في تفسيره يعرض أضرار لحم الخنزير فيقول "وأما خبث لحم الخنزير : فلأذاه للنفس ، كما حرم ما قبله لمضرتها في الجسم لأن من حكمة الله في خلقه : أن من اغتذى جسمه بجسمانية شيء اغتذت نفسانيته بنفسانية ذلك الشيء : الكبر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم. فلما جعل في الخنزير من الأوصاف الذميمة ، حرم على من حوفظ على نفسه من ذميم الأخلاق . نقله البقاعي .

وقد كشف لأطباء هذا العصر من مضار لحم الخنزير المبنية على التجارب الحسية غير ما قالوه القدماء. فمن مضارّه : أنه يورث الدودة الوحيدة المتسبب من وجودها في الأمعاء أعراض كثيرة : كالمغص، والإسهال، والقيء، وفقد شهوة الطعام، أو النهم الشديد، وآلام الرأس، والإغماء، والدوار، واضطراب الفكر، وعروض نوبات صرعية، وتشنجات عصبية، وإصابة مرض دودة الشعر الحلزونية الذي يفوق الحمى، ويودي بحياة المصاب إلى غير ذلك من التعب وعسر الهضم ، ومضار سواها .

قال حكيم : فالإسلام لم يأت لإصلاح الروح فقط ، بل لإصلاح الروح والجسم معاً . . ! فلم يترك ضاراً لأحدهما إلا وثّبه عليه تصريحاً أو تلويحاً . . . وقد بسط الحكماء المتأخرون الكلام على مضرات لحم

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٢٤٥، ٢٤٦)

(٢) تفسير الألوسي = روح المعاني (١/ ٥٠٨)

الخنزير في مقالات عديدة^(١).

وهذه الذنوب والمعاصي هي بسبب إيثار الحياة الدنيا يقول الامام القرطبي رحمه الله عند قول الله تعالى (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد) "الذين يستحبون الحياة الدنيا) أي يختارونها على الآخرة، والكافرون يفعلون ذلك. ف" الذين" في موضع خفض صفة لهم. وقيل: في موضع رفع خبر ابتداء مضمر، أي هم الذين. وقيل: "الذين يستحبون" مبتدأ وخبره. " أولئك". وكل من آثر الدنيا وزهرتها، واستحب البقاء في نعيمها على النعيم في الآخرة، وصد عن سبيل الله - أي صرف الناس عنه وهو دين الله، الذي جاءت به الرسل، في قول ابن عباس وغيره - فهو داخل في هذه الآية، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون" وهو حديث صحيح. وما أكثر ما هم في هذه الأزمان، والله المستعان. وقيل: "يستحبون" أي يلتمسون الدنيا من غير وجهها، لأن نعمة الله لا تلمس إلا بطاعته دون معصيته. (ويغونها عوجا) أي يطلبون لها زيغا وميلا لموافقة أهوائهم، وقضاء حاجاتهم وأغراضهم. والسبيل تذكر وتؤنث. والعوج بكسر العين في الدين والأمر والأرضي، وفي كل ما لم يكن قائما، وبفتح العين في كل ما كان قائما، كالحائط والرمح ونحوه، وقد تقدم في "آل عمران" وغيرها. (أولئك في ضلال بعيد) أي ذهاب عن الحق بعيد عنه^(٢).

فيجب على العبد البعد عن المعاصي والمخالفات يقول الامام القرطبي رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرِهْنَا مَعَهُ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَا ذُنَّ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾} [سورة البقرة: ٢٤٩] قال القرطبي بعدها "قلت: هكذا يجب علينا نحن أن نفعل؟ لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة منعت من ذلك حتى ينكسر العدد الكبير منا قدام اليسير من العدو كما شاهدناه غير مرة، وذلك بما كسبت أيدينا!"^(٣).

وعلى العبد أن يحفظ النعم بتجنب الذنوب والمعاصي يقول الامام ابن القيم رحمه الله عند قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَّالٍ ﴿١١﴾} [سورة الرعد: ١١]. قال رحمه الله: "ومن تأمل ما قص الله تعالى في كتابه من أحوال الأمم

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) (٢/ ٣٢، ٣٣)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩/ ٣٣٩، ٣٤٠)

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/ ٢٥٥)

الذين أزال نعمه عنهم وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره وما أزال الله عنهم من نعمه وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب كما قيل:

إذا كنت في نعمة فارعهها
فإن المعاصي تزيل النعم" (١)

وعلى العبد المسارعة الى التوبة الى الله تعالى يقول الشيخ ابن باز رحمه الله " فالواجب علينا جميعا هو التوبة إلى الله سبحانه والإجابة إليه، وعمارة القلوب بمحبته وخشيته وخوفه ورجائه والشوق إليه والإقبال على طاعته وطاعة رسوله، والحب في ذلك والبغض فيه وموالاة المؤمنين ومحبتهم ومساعدتهم على الحق وبغض الكافرين والمنافقين ومعاداتهم والحذر من خداعهم ومكرهم والركون إليهم ومد النظر إلى ما متعوا به من زهرة الدنيا الزائلة عن قريب، قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ (٥٤) ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٥٥) ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ (٥٦) ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥٧) ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨) { سورة الزمر: ٤٥-٥٨ }" (٢).

ويقول رحمه الله: " والواجب على كل مسلم أن يحرص على تجنب ما نهى الله عنه وأن يكون حكيما في تصرفاته مبتغيا في ذلك وجه الله شاكرا لنعمه، حذرا من التهاون بها وصرفها في غير مصارفها قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) { سورة إبراهيم: ٧ } وقال عز وجل: ﴿فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٤) { سورة البقرة: ١٥٢ } (٤) وأخبر سبحانه أن الشكر يكون بالعمل لا بمجرد القول فقال سبحانه: ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٣) { سورة سبأ: ١٣ }. فالشكر لله سبحانه يكون بالقلب واللسان والعمل، فمن شكر الله قولاً وعملاً زاده من فضله وأحسن له العاقبة، ومن كفر بنعم الله ولم يصرفها في مصارفها فهو على خطر عظيم وقد توعدده الله بالعذاب الشديد" (٣).

والتوبة فرض على الاعيان في كل الأحوال وكل زمان كما أخبر الامام القرطبي " قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ { سورة التحريم: ٨ }. فيه مسألتان: الأولى - أمر بالتوبة وهي فرض على الاعيان في كل الأحوال وكل الأزمان" (٤).

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٥، ٢٠٦)

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٢٤٥، ٢٤٦).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٧، ٣٨)

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٨/ ١٩٧)

المبحث الخامس: تنزيل هدايات القصص على الواقع:

لقد جاء القرآن الكريم داعياً إلى الهداية والرشاد، بأساليب شتى؛ فتارةً بالوعد والوعيد، وتارةً بالإقناع العقلي، وتارةً ثالثة بوخر الضمير والوجدان، ورابعةً بتوجيه الفطرة إلى حقيقتها، وخامسةً بالإعجاز بشتى ألوانه، وأحياناً كثيرة: بأسلوب القصص، الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان، وأكثر العوامل النفسية تأثيراً فيه، وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه، فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة، وكأنه أحد أفرادها، بل وكأنه هو " بطل القصة" أو "الشاهد" فيها، فيرى من خلالها كل من الصالح والطالح ما في نفسه من أحاسيس، وما في خَلده من أحداث، وما يجري حوله من أحداث وحوار.. كل ذلك من خلال تجاوبه مع القصة.. فالقصة لا سيما إن كانت بأسلوب شيق، وبيان رائق لها من التأثير والجاذبية مالا تبلغه أي وسيلة أخرى من الوسائل الدعوية أو التعليمية أو التربوية، فكيف إذا كانت بأسلوب ربايٍّ معجز، له من الواقعية والصدق ودقة التصوير، ومن السِمات ما ليس لغيره!!^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وعهود الله في كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الأمة كما نالت أولها وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفضلة واجمل قصص الانبياء ثم قال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى { [سورة يوسف: ١١١] أي هذه القصص المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة كنعو ما يذكر في الحروب من السير المكذوبة وقال تعالى لما ذكر قصة فرعون (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى"^(٢) .

ويقول عند قول الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} قال "فمن كان من أهل الإيمان قيس بهم وعلم أن الله يسعده في الدنيا والآخرة ومن كان من أهل الكفر قيس بهم وعلم أن الله يشقيه في الدنيا والآخرة"^(٣).

يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته:

يا قومنا اعتبروا بمصرع من خلا	من قبلكم في هذه الأزمان
لم يغن عنهم كذبهم ومحالهم	وقتلهم بالزور والبهتان
كلا ولا التدليس والتلبيس	عند الناس والحكام والسلطان

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ص: (٧)

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٨ / ٤٢٥)

(٣) مجموع الفتاوى (١٣ / ١٦)

وبدا لهم عند انكشاف غنائهم ما لم يكن للقوم في حسابان^(١)

ومن تلك القصص التي ذكرها الله عز وجل قصة غزوة الأحزاب وقد نزل الامام ابن تيمية رحمه الله تلك القصة على واقعه حين غزاه المغول وغيرهم بلاد الإسلام فيقول "وفي هذه الحادثة تحزب هذا العدو من مغول وغيرهم من أنواع الترك ومن فرس ومستعربة ونحوهم من أجناس المرتدة ومن نصارى الأرمن وغيرهم. ونزل هذا العدو بجانب ديار المسلمين وهو بين الإقدام والإحجام مع قلة من بإزائهم من المسلمين. ومقصودهم الاستيلاء على الدار واصطلام أهلها. كما نزل أولئك بنواحي المدينة بإزاء المسلمين. ودام الحصار على المسلمين عام الخندق - على ما قيل - بضعا وعشرين ليلة. وقيل: عشرين ليلة. وهذا العدو عبر الفرات سبع عشر ربيع الآخر"^(٢).

وقارن رحمه الله بين الأجواء التي كانت في تلك المعركة بما كان في غزوة الأحزاب من البرد الشديد والريح فيقول " وكان عام الخندق برد شديد وريح شديدة منكرة بها صرف الله الأحزاب عن المدينة كما قال تعالى { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا } [سورة الأحزاب: ٩] وهكذا هذا العام أكثر الله فيه الثلج والمطر والبرد على خلاف أكثر العادات حتى كره أكثر الناس ذلك وكنا نقول لهم لا تكرهوا ذلك فإن الله فيه حكمة ورحمة وكان ذلك من أعظم الأسباب التي صرف الله به العدو فإنه كثر عليهم الثلج والمطر والبرد حتى هلك من خيلهم ما شاء الله وهلك أيضا منهم من شاء الله وظهر فيهم وفي بقية خيلهم من الضعف والعجز بسبب البرد والجوع ما رأوا أنهم لا طاقة لهم معه بقتال حتى بلغني عن بعض كبار المقدمين في أرض الشام أنه قال لا يبض الله وجوهنا أعدونا في الثلج إلى شعره ونحن قعود لا نأخذهم وحتى علموا أنهم كانوا صيدا للمسلمين لو يصطادونهم لكن في تأخير الله إصطيادهم حكمة عظيمة"^(٣).

ويصف كيف نزل العدو بالبلاد الإسلامية كما نزل الأحزاب على المدينة كما وصف الله تعالى بقوله: { إِذْ جَاءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ } [سورة الأحزاب: ١٠].

فيقول "وهكذا هذا العام جاء العدو من ناحيتي علو الشام وهو شمال الفرات وهو قبلي الفرات فزاعت الأبصار زيغا عظيما وبلغت القلوب الحناجر لعظم البلاء لا سيما لما استفاض الخبر بانصراف العسكر إلى مصر وتقرب العدو وتوجهه إلى دمشق وظن الناس بالله الظنوننا هذا يظن أنه لا يقف قدامهم أحد من جند الشام حتى يضطلموا أهل الشام وهذا يظن أنهم لو وقفوا لكسروهم كسرة وأحاطوا بهم احاطة الهالة بالقمر وهذا يظن ان أرض الشام ما بقيت تسكن ولا بقيت تكون تحت مملكة الإسلام وهذا يظن أنهم يأخذونها ثم

(١) الكافية الشافية - عالم الفوائد (ص: ٤٠٩)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٤٤)

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٨ / ٤٤٥)

يذهبون إلى مصر فيستولون عليها فلا يقف قدامهم أحد فيحدث نفسه بالفرار إلى اليمن ونحوها وهذا إذا أحسن ظنه قال إنهم يملكونها العام كما ملكوها عام هولاء سنة سبع وخمسين ثم قد يخرج العسكر من مصر فيستنقذها منهم كما خرج ذلك العام وهذا ظن خيارهم وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية وأهل التحديث والمبشرات أماني كاذبة وخرافات لاغية وهذا قد استولى عليه الرعب والفرع حتى يمر الظن بفؤاده مر السحاب ليس له عقل" (١) .

ويقول عند قول الله تعالى {وَيَسْتَكْبِرُونَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ أَلَّا يَقُولُوا إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا} [سورة الأحزاب: ١٣] واصفا فرار الناس من الثغر الى المعقل والحصون والى الأماكن البعيدة كمصر ويقولون ما مقصودنا الا حفظ العيال فيقول: " وكان قوم من هؤلاء المذمومين يقولون والناس مع النبي عند سلع داخل الخندق والنساء والصبيان في أطام المدينة يا رسول الله ان بيوتنا عورة أي مكشوفة ليس بينها وبين العدو حائل.

واصل العورة الخالي الذي يحتاج إلى حفظ وستر يقال اعور مجلسك اذا ذهب سترة او سقط جداره ومنه عورة العدو .

وقال مجاهد والحسن أي: ضائعة تخشى عليها السراق وقال قتادة قالوا بيوتنا مما يلي العدو فلا نأمن على اهلنا فإذن لنا أن نذهب اليها لحفظ النساء والصبيان قال الله تعالى {وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ} لأن الله يحفظها {إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا} فهم يقصدون الفرار من الجهاد ويحتجون بحجة العائلة

وهكذا اصاب كثيرا من الناس في هذه الغزاة صاروا يفرون من الثغر الى المعقل والحصون والى الأماكن البعيدة كمصر ويقولون ما مقصودنا الا حفظ العيال وما يمكن ارسالهم مع غيرنا وهم يكذبون في ذلك فقد كان يمكنهم جعلهم في حصن دمشق لودنا العدو كما فعل المسلمون على عهد رسول الله ﷺ" (٢)

ثم بين عند قول الله تعالى: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [سورة الأحزاب: ٢٥] كيف أن الله ارسل الثلوج والامطار العظيمة التي كانت سببا في إهلاك الأعداء فيقول: " فإن الله صرف الأحزاب عام الخندق بما أرسل عليهم من ريح الصبا ريح شديدة باردة وبما فرق به بين قلوبهم حتى شتت شملهم ولم ينالوا خيرا إذ كان همهم فتح المدينة والاستيلاء عليها وعلى الرسول والصحابة كما كان هم هذا العدو فتح الشام والاستيلاء على من بها من المسلمين فردهم الله بغيظهم حيث أصابهم من الثلج العظيم والبرد الشديد والريح العاصف والجوع المزعج ما الله به عليم وقد كان بعض الناس يكره تلك الثلوج والأمطار العظيمة التي وقعت في هذا العام حتى طلبوا الاستصحاء غير

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٨ / ٤٤٦)

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٨ / ٤٥١ ، ٤٥٢)

مرة وكنا نقول لهم هذا فيه خيرة عظيمة وفيه لله حكمه وسر فلا تكرهوه فكان من حكمته أنه فيما قيل أصاب قازان وجنوده حتى أهلكهم وهو كان فيما قيل سبب رحيلهم وابتلى به المسلمون ليتبين من يصبر على أمر الله وحكمه ممن يفر عن طاعته وجهاد عدوه وكان مبدأ رحيل قازان فيمن معه من أرض الشام وأراضي حلب يوم الأثنين حادي عشر جمادى الأولى يوم دخلت مصر عقيب العسكر واجتمعت بالسلطان وأمراء المسلمين وألقى الله في قلوبهم من الاهتمام بالجهاد ما ألقاه فلما ثبت الله قلوب المسلمين صرف العدو جزءا منه وبيانا أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها وإن لم يقع الفعل وإن تباعدت الديار" (١).

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٢٨ / ٤٦٣)

الخاتمة:

أحمد الله -عزَّ وجلَّ- على ما يسر وأعان من كتابة هذه الورقات في تنزيل العلماء للهدايات القرآنية على الواقع، والتي توضح ما يسير عليها المسلم في النظر في الهدايات القرآنية:

وكانت أبرز نتائج هذه الجولة السريعة:

١. شمولية اهتمام العلماء رحمهم الله بالبحث عن هدايات القرآن في كل ما يحتاجه الناس في عصرهم واهتمامهم بذلك لا سيما في باب الاعتقاد والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب.
٢. تورع العلماء الشديد في إنزال الهدايات القرآن على الوقائع والمسائل وعدم استعجالهم فيها، أو استرسالهم في تعداد المسائل: بل كان كلامهم على مسائل معدودة للواحد منهم، وربما ندر عند بعضهم.
٣. الحرص الشديد من علماء أهل السنة والجماعة على صحة الاستدلال بالآيات على المسائل الواقعة؛ ولذا لم نجد لهم مخالفة لتفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم، بل كانوا يعتضدون بتفسير السلف في فهم الآية وبيان علاقة المسألة الواقعة بما دلت عليه الآية، فكانت تفاسير السلف عمدة لهم في تلك المستجدات بدلالة الآية.
٤. ومن ذلك الحرص سلامة الدلالة اللغوية للآية فلم نجد لعلماء أهل السنة عموماً مخالفة دلالة الآية اللغوية بل جعلوا الدلالة اللغوية معتمداً لهم في إلحاق المسائل بهدايات الآيات.
٥. ومن ذلك الحرص على أصول الشريعة الإسلامية والأجماع فلم نجد للعلماء مخالفة لها، بل جعلوا ذلك معتمداً لهم في إلحاق المسائل المعاصرة لهم بهدايات الآيات ومستندا للاستدلال بالآيات.
٦. غالب المسائل فيها ربط بين الآية وهداياتها وبين المسائل المستجدة وتبرير ذلك، مما يعين الباحث والدارس على التحليل والمناقشة والنظر.
٧. ما برز من تنزيلات في عصر، فإنه يذكر العصور التي قبله غالباً، ولا يتم نقضه إلا بمنهج علمي وبيان لسبب ذلك الرد، ولم يكن ذلك كثيراً، ومن برز فيه أبو حيان الأندلسي وابن كثير رحمهم الله.
٨. تنزيل الهدايات القرآنية على الواقع كان بلغة مناسبة لذلك العصر، ولذا نجد أثر الأحداث التاريخية والأحوال المحيطة بالعالم في كتابه لتلك التنزيلات، وقد لا ينقلها من بعده بنفس اللغة بل يحكيها غالباً بما يناسب عصره كذلك.
٩. كان من أبرز العلماء في تنزيل الهدايات على الواقع الأئمة: ابن حزم الأندلسي، وابن العربي، والقرطبي، وابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب، والألوسي، والدوسري، وابن باز، وابن عثيمين، رحمهم الله أجمعين.

١٠. من خلال الجرد الذي أجرته لهذا البحث لم يظهر لي مثال واحد على تنزيل الهدايا على واقعة فيها نص في المسألة، بل رأيت حرص العلماء على جمع الأدلة والشواهد لها قدر الإمكان خوفاً من الوقوع في مخالفة النصوص.
١١. ليس العدد المذكور مقصوداً في هذا البحث، ولا المسميات كذلك، ولذا لعلها تنال نصيبها فيما بعد في البحث والترتيب؛ لتكون أكثر متانة، وأقوى تأثيراً بإذن الله تعالى.

التوصيات:

١. دراسة مناهج العلماء في تنزيل الهدايا القرآنية على الواقع - ولا سيما المكثرين منهم - دراسة مستقلة.
 ٢. دراسة العصور التي كثر فيها تنزيل الهدايا القرآنية على الواقع، كالقرن الثامن والقرن الرابع عشر والخامس عشر.
 ٣. دراسة البلدان والمناطق التي اشتهر علماءها بتنزيل الهدايا القرآنية على الواقع، كالأندلس والشام والجزيرة العربية.
 ٤. لازل مجال الهدايا القرآنية بحاجة لإثراء على المستويين:
 أ/ العلمي البحثي، بطريقه: التأصيلي، والاستقرائي.
 ب/ المهاري التدريبي، بمعايره وسماته، ومؤشرات ومقاييسه.
- وبعد فهذه سطورٌ من الاجتهاد في هذا الموضوع المهم، والمجال الرحب، أحببت كتابتها وعرضها على مشايخي وزملائي لعل الله ينفع بها.

ثبت المصادر والمراجع

- الإبانة الكبرى لابن بطة: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: د. عثمان عبدالله آدم الأثيوبي، نشر دار الراجية - الرياض، ط الثانية ١٤١٨ هـ.
- الإبتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) - تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م.
- أحكام القرآن لابن العربي: محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: إحسان عباس، نشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- أعلام العراق: أعلام العراق: محمد بهجة الأثري، طبع بمصر ١٣٤٥ هـ.
- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للحفاظ عمر البزار، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت.
- إعلم الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر - تحقيق أ/ طه سعد، ط دار الجيل - بيروت ١٩٧٣ م.
- الأعلام للزركلي: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، نشر: دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- أعيان البيان: أعيان البيان من صبح القرن الثالث عشر الهجري: لحسن السندي، ط. مصر ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م.
- إغائة اللهفان لابن القيم: إغائة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار المعرفة - بيروت، ط الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- إمام العصر سماحة الشيخ الإمام العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، د. ناصر بن مسفر الزهراني، مؤسسة الجريسي الرياض، ط الأولى ١٤٢٠ هـ.
- أمثال القرآن لابن القيم: أمثال القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، نشر: مطابع الصفا، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- البداية والنهاية لابن كثير: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: علي شيري، نشر: دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- بدائع الفوائد لابن القيم: بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- البعث والنشور للبيهقي: البعث والنشور للبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، نشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- بغية الوعاة السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
- تعليقات ابن عثيمين على الكافي لابن قدامة: (إلى أول كتاب الوقف وهو آخر ما شرح الشيخ رحمه الله) محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، مرقم آلياً، المكتبة الشاملة.
- تفسير الألوسي = روح المعاني: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، ط / دار الكتب العلمية - بيروت، ط / ١٤١٥ هـ.
- تفسير الفاتحة والبقرة: محمد بن صالح بن محمد العثيمين ت: ١٤٢١ هـ، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، نشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ط: ١، ١٤٢٣ هـ.

- تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ج الخامس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بلتاجي، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية. ط الأولى.
- تفسير جزء عمّ محمد بن صالح العثيمين ت: ١٤٢١هـ، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط دار الثريا بالرياض، ط الأولى ١٤٢٣هـ.
- تفسير سورة النساء محمد بن صالح بن محمد العثيمين ت: ١٤٢١هـ، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، نشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ط: ١، ١٤٢٥هـ.
- تفسير سورة يس للشيخ: محمد بن صالح العثيمين ت: ١٤٢١هـ، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط دار الثريا بالرياض، ط الأولى ١٤٢٤هـ.
- تنزيل الآيات على الواقع المعاصر عند الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، د. أحمد البريدي، مقال منشور في موقع مداد، <http://midad.com/article/195940>.
- تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ الدوسري (رسالة ماجستير)، الباحث: بدر بن محمد عيد العطوي، نوقشت بجامعة القصيم ١٤٣٨-١٤٣٩هـ.
- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق، عبدالعزيز عبدالرحمن الضامر (رسالة ماجستير) نشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط الأولى ١٤٢٨هـ.
- جامع الترمذي - تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٢، ١٩٧٥م.
- الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود بن عبدالله، أبو البركات خير الدين، الألوسي (المتوفى: ١٣١٧هـ)، قدم له: علي السيد صبح المدني، نشر: مطبعة المدني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبدالرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٥هـ)، حققه حفيده: محمد بمجة البيطار، نشر: دار صادر، بيروت، ط الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- حياة الداعية الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري. إعداد سليمان بن ناصر الطيار. رسالة ماجستير قسم الحاسبة ووسائل الدعوة عام ١٤٠٢هـ. إشراف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الفالح.
- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل د: عبدالمجيد النجار
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، (ط ١، ١٤٠٥هـ)، (١٩٩/٢)
- الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد، نشر دار المعرفة - بيروت
- روضة ابن غنام = تاريخ نجد المسمى "روضة الأفكار والإفهام، لمرتاد حال الإمام"، حسين بن أبي بكر بن غنام الأحسائي (ت ١٢٢٥هـ)، حققه ناصر الدين الأسد، مطبعة المدني، ط القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.
- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بدون تاريخ، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت ٤٥٨هـ، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف

شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة.

- شرح الأربعين النووية ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، نشر: دار الثريا للنشر.
- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، ط الأولى - ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م.
- شرح منظومة القواعد والأصول لابن عثيمين، الناظم والشارح: الشيخ ابن عثيمين (١٤٢١هـ)، نشر: دار ابن الجوزي بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية ، الطبعة الثالثة ١٤٣٤هـ.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، نشر: دار ابن حزم - بيروت، ط الأولى، ١٤١٧هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثانية ، ١٤١٤ - ١٩٩٣.
- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- صفوة الآثار والمفاهيم صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم :الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري، نشر دار المغني للنشر والتوزيع الرياض ط ١، ١٤٢٥هـ.
- الطب النبوي ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، تحقيق: السيد الجميلي، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- طبقات المفسرين للداوودي = محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- طريق المهجرتين و باب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، نشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، ط الثانية: ١٣٩٤هـ.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق : زكريا علي يوسف، نشر : دار الكتب العلمية - بيروت.
- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لتلميذه ابن عبد الهادي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي بيروت.
- عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبدالله بن بشر ، تحقيق: عبدالرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، نشر: دار الملك عبدالعزيز - الرياض - الطبعة: الرابعة - سنة الطبع: ١٤٠٢هـ
- فتاوى نور على الدرب، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، جمعها: محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ. نشر : الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
- فتاوى نور على الدرب، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الكتاب مرقم آليا، المكتبة الشاملة.
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان ، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥م ١٩٧٥هـ.
- القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي، محمد صفى الدين البخاري الحنفي، تحقيق: د. سالم بن عبدالله الدخيل، دار الوطن الرياض، ط الأولى ١٤٢٠هـ.
- الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية المتوفى (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي، ناصر بن يحيى الحنيني، عبدالله بن عبدالرحمن الهديل، فهد بن علي المساعد، نشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة، ط الأولى ١٤٢٨هـ.
- كتاب ابن عثيمين الإمام الزاهد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، دار ابن الجوزي الدمام، ط الأولى ١٤٢٢هـ.
- لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، ابن منظور دار النشر : دار المعارف

- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن القاسم، أشرف على طباعته المكتب السعودي بالمغرب.
- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، جمعه: محمد بن سعد الشويعر، نشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
- محاسن التأويل "تفسير القاسمي": محمد جمال الدين القاسمي، صححه ورقمه وخرجه محمود فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ط ١، ١٣٧٦.
- المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص، محمد بن عبدالرحمن بن العباس بن عبدالرحمن بن زكريا البغدادي المخلص (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: نبيل سعد الدين حرار، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام /محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - بتصرف ، تحقيق الشيخ/ محمد حامد الفقي، ط دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٣هـ .
- المستدرك على الصحيحين- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، أبو المعالي محمود شكري بن عبدالله بن محمود الألوسي (ت ١٣٤٢هـ -) تحقيق: عبدالله الجبوري، نشر: الدار العربية للموسوعات، ط الأولى - ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.
- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.
- المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، نشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: الثانية، و دار الصمعي - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي - تحقيق: عبدالسلام هارون، ط. دار الفكر-بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، نشر: جامعة الدراسات الإسلامية، دار الوعي، دار قتيبة- كراتشي بباكستان، حلب، دمشق، ط: الأولى، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: مجموعة محققين، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية
- الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية أبو عبدالله (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض نشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الوافي بالوفيات، للصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر: دار إحياء التراث - بيروت، نشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر - بيروت.

فهرس الموضوعات والمسائل

٢	مقدمة
٣	خطة البحث
٣	منهج البحث
٤	العلماء الذين شمل كتبهم البحث
٧	التعريف بالمصطلحات
٧	تعريف تنزيل الآيات على الواقع
٧	فوائد تنزيل الهدايات على الواقع
٨	حاجة الناس إلى تنزيل الهدايات على الواقع
٨	حكم تنزيل الهدايات على الواقع
٩	ضوابط تنزيل الهدايات على الواقع
١٠	أنواع تنزيل الهدايات على الواقع
١٠	التوع الأول: باعتبار التصريح وعدمه
١٠	التوع الثاني: باعتبار الجزئية والكليّة
١١	مجالات تنزيل الهدايات على الواقع
١١	المجال الأول: تنزيل هدايات الآيات من خلال العمل بأن العبرة بعموم اللفظة
١٣	المجال الثاني: تنزيل هدايات الآيات من خلال تغير العبارات حسب الزمن
١٤	أشهر مجالات تنزيل الهدايات على الواقع عند العلماء
١٥	المبحث الأول: تنزيل هدايات الآيات في جانب العقيدة
١٥	محبة الله تعالى
١٥	رجاء رحمة الله وفضله
١٥	اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره
١٦	الاستدلال بالسنة
١٧	مخالفة الرسل
١٧	أثر العلم
١٧	حقيقة الطاعة والامتثال لأمر الله تعالى
١٨	الاستهزاء بالدين
١٨	العصمة
١٨	قطع أصول الشرك ومواده
١٩	الردة
١٩	شرك الطاعة
١٩	الشرك المعاصر
٢٠	السجود لغير الله
٢١	الاحتكام إلى القوانين الوضعية
٢١	الطاعة في معصية الله
٢٢	بيان الفرق بين الإيمان والكفر

٢٢	مخاربة الرياء
٢٢	الوسيلة إلى الشرك لهم حكم الغاية
٢٣	الكفر والمعاصي سبب الفتن والحروب والكوارث
٢٣	الحزن والابتلاءات اختبار للعقيدة
٢٤	التحذير من الفرقة والاختلاف في الدين
٢٤	الطعن في حملة العقيدة والسخرية من المؤمنين
٢٥	اتخاذ البطانة من دون المؤمنين
٢٦	عداوة الكفار
٢٧	التشبه باليهود والنصارى
٢٧	الكهانة والعرافة
٢٨	التحذير من الغلو
٢٨	الفرق
٣٠	عقيدة الصوفية
٣٠	عقيدة النصارى
٣١	البدع
٣١	تغير أحوال الناس من أثر المعاصي
٣٢	أثر المعاصي على حياة الناس
٣٢	الانحراف في الموقف من النعم
٣٢	الرد على شبهات المشركين قديما وحديثا
٣٤	القرآن
٤١	المبحث الثاني: تنزيل هدايات الآيات في جانب العبادات
٤٦	تنزيل هدايات الآيات في جانب العلم والدعوة الى الله
٤٩	حكم إلحاق المكتشفات الحديثة بدلالات القرآن
٥١	المبحث الثالث: تنزيل هدايات الآيات في مسائل المعاملات
٥١	الجهاد
٥٢	الزواج من الكتابية
٥٣	بناء الاهرامات والمخازن
٥٤	التوقيت
٥٥	التيسير في هذا العصر
٥٥	الضرائب
٥٥	فك الأسير
٥٥	الهبة
٥٦	الإصلاح الأسري
٥٦	اللباس
٥٧	الأموال العامة وصرفها
٥٧	الكتاب والميزان في الحُكم
٥٨	أسباب انهزام المسلمين
٦١	المبحث الرابع: تنزيل هدايات الآيات في مسائل الآداب

٦١	بدع الأوراد والأذكار
٦١	الغزو في الاخلاق
٦٢	قضية اللباس
٦٦	حرمة التشاؤم بالبنات
٦٦	حفظ الاسماع واللسان
٦٧	ترك الفخر
٦٧	التعامل مع من خالف الآداب العامة
٦٧	الوفاء بالعهد وعدم نكث العهد
٦٨	أثر الذنوب والمعاصي
٧١	المبحث الخامس: تنزيل هدايات القصص على الواقع
٧٥	الخاتمة
٧٥	أبرز نتائج البحث
٧٦	توصيات البحث
٧٧	ثبت المصادر والمراجع